من كامب ديفيد إلى مدريد

مجدى أحمد حسين

الطبعة الثانية

رقم الإيداع: ١٥٧١٢ / ٢٠٠٣

التوزيع

ت: ٠١٢/٣٣٧٥٤٠٤

عنوان المؤلف: ٣٦ شارع الروضة - المنيل - القاهرة

تليفون وفاكس: ٣٦٤٤٠٥٥

بريد إلكترونى:

magdyhussein@gawab.com

موقع جريدة (الشعب) على الإنترنت:

www.alshaab.com

www.alarabnews.com

موقع حزب (العمل) على الإنترنت:

www.El3amal.com

الإشراف الفنى

طارق الكركيت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إسقاط كامب ديفيد مهمة عقائدية ووطنية

من الثقيل على القلب أن أعيد قراءة هذا الكتيب بعد اثنى عشر عاما من كتابته كى اكتب له مقدمة فكأن الزمن قد توقف، ما تزال كامب ديفيد قوية راسخة وكأنها الشم الرواسى وما تزال تداعياتها المدمرة تفعل فعلها وكل ما شخصه الكتيب أكدته الأحداث منذ ١٩٩١ حتى ٢٠٠٣ .
فكامب ديفيد بتعبير القانونيين جريمة مستمرة ولا تزال عجلتها الشيطانية تدور وتطحن أوطان المسلمين وأجسادهم وتفيض دماؤهم على الطرقات وتحمل الأنهار جثثهم والأعداء يغزون البلدان الإسلامية على امتداد الكرة الأرضية.. (ومصر العظيمة) لا تريم .

أبدا فالعروبة قلب الإسلام ومصر هى قلب العروبة وتركيع مصر يفت فى عضد الأمة العربية والإسلامية جمعاء.

لقد استهدفت كامب ديفيد بالأساس عزل مصر عن أمتها العربية وهو الأمر الذى يؤدى إلى إضعاف الطرفين، وهذا ما حدث حتى عام ١٩٩١ ثم هذا ما حدث بصورة مضاعفة من عام ١٩٩١ حتى الآن (٢٠٠٣) فعندما تقطع الرأس عن الجسد فلا حياة للطرفين .

إن تحييد مصر وإخراجها من الصراع كان هدفا ثابتا لإسرائيل وهذا ما قاله موشيه ديان للسادات مباشرة(الشعب الإسرائيلى لا يخشى من بين الدول العربية إلا مصر فهى الدولة الوحيدة القادرة على تهديد إسرائيل تهديدا حقيقيا).

ولقد صدر الكتاب بمناسبة ما سمى مباحثات مدريد لحل القضية الفلسطينية والتى أسفرت كما توقعنا عن لا شئ ! ثم جرت مفاوضات مباشرة فلسطينية إسرائيلية أدت إلى اتفاقية أوسلو وما تبعها من اتفاقيات فرعية حول الحكم الذاتى

الفلسطينى والتى انتهت كما رأينا إلى اجتياح صهيونى شامل لأراضى السلطة الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة فى مارس ٢٠٠٢ وحيث انهارت محاولة تحول الحكم الذاتى إلى سلطة ثم إلى دولة فلسطينية . (وفى هذه الطبعة أضفت مقالين يتناولان مشروع خريطة الطريق وبهذا يتضح خط التصفية من كامب ديفيد إلى مدريد إلى خريطة الطريق ، أما مرحلة أوسلو فقد تناولتها فى كتاب هموم الأمة) .

وقد أجمل الكتيب عناوين الكوارث التى أصابت مصر والعالم العربى حتى ١٩٩١ أما الآن فيمكن أن نضيف أن تحييد مصر تارة واتخاذها عضدا ومعاونا للأعداء تارة أخرى قد أدى إلى مواصلة حصار العراق حتى الموت وحتى الاحتلال .. مواصلة التنكيل بالشعب الفلسطينى واجتياح أراضيه فى واحدة من أكثر مذابح التاريخ دموية.. التراجع عن فكرة الانسحاب من الجولان بل وضرب ضواحى دمشق بالطائرات .. هرولة حكام المغرب وتونس وموريتانيا والخليج إلى العدو الصهيونى، اتفاقية وادى عربة بين الأردن والكيان الصهيونى التى لم ترجع أرضا.. بل أدت إلى تأجير إسرائيل

أرضا أردنية وتطبيع أردنى صهيونى ، احتلال أمريكى لـ (٨) دول عربية وقواعد أمريكية فى عدد آخر من الدول العربية من بينها مصر .. إضعاف ليبيا إلى حد انسحابها من الهم العربى، إضعاف السودان الذى يدخل مفاوضات مضنية مع التمرد العميل وهو مكشوف الظهر، استمرار تمزق الجزائر والصومال.

الجيوش الأمريكية تتحرك بحرية من شمال أفريقيا إلى مصر إلى اليمن وجيبوتى إلى الأردن إلى الخليج إلى العراق. وإسرائيل موجودة الآن فى قلب العراق فى معطف الاحتلال الأمريكى ولها علاقات علنية وشبه علنية مع معظم حكام العرب وتنفرد وحدها بالسلاح النووى والصاروخى بعيد المدى (كل الأهداف الحيوية فى المنطقة العربية بما فى ذلك التجمعات السكانية والسدود وحقول النفط لا تتجاوز ٢٥-٣٠ هدفا بارزا ومن المتصور أن تدميرها تدميرا كاملا يتطلب ما بين ٧٥-١٠٠ سلاح نووى) (شاى فيلدمان رئيس مركز جافى الإسرائيلى للدراسات الاستراتيجية) وإن كان باحث إسرائيلى آخر فى نفس المركز (د. أريائيل لويطه) يؤكد

أن لدى إسرائيل خطة لتدمير(٥٠) هدفاً فى العالم العربى تمتد من المحيط الأطلسى وحتى الخليج الفارسى) والمعروف أن اسرائيل لديها مالا يقل عن (٢٠٠) رأس نووية !

ويقول يوفال نتمان أبو القنبلة النووية الإسرائيلية أن لدى إسرائيل القدرة على تدمير المنطقة العربية عشر مرات، كذلك شيمون بيريز الذى صرح عام ١٩٨٧ عندما نجحت إسرائيل فى إطلاق الصاروخ أريحا ٢ (ان العواصم العربية أصبحت رهينة فى أيدينا) (فلسطين وكشمير- لواء أركان حرب حسام سويلم).

وفى المقابل فان كل ما تملكه مصر الرسمية هو الترويج للاقتراح "العبقرى" منذ أكثر من ١٠ سنوات (إخلاء منطقة الشرق الأوسط من السلاح النووى وأسلحة الدمار الشامل) وهى قدرة هائلة على إحراج العدو على طريقة الحمل الذى يطلب من الذئب خلع أنيابه !!

وعلى المستوى الإسلامى ..استباحت القوات الأمريكية أراضى أفغانستان وأقامت قواعدها فى دول وسط آسيا

الإسلامية التى انتقل حكامها من الشيوعية والتبعية لموسكو إلى التبعية لأمريكا أو إلى حالة من الشراكة الروسية الأمريكية بدرجات متفاوتة بالإضافة لقواعد ووجود استخبارى علنى فى باكستان ونشاط عسكرى فى الفلبين وقواعد فى إريتريا ومرح شبه كامل فى المحيطات والبحار المحيطة بالدول الإسلامية .

وعلى المستوى العالمى تسابقت دول العالم بعد كامب ديفيد إلى الاعتراف بإسرائيل و إقامة علاقات رسمية معها تحت شعار لن نكون ملكيين أكثر من الملك المصرى و العربى.

ومع تخلى أصحاب القضية عن قضيتهم .. تسابقت الدول الكبرى والمؤثرة إلى التعاون مع إسرائيل فهى قوة عسكرية وصناعية بازغة . وما حاجتهم لهؤلاء العرب الأوغاد الذين لا يجيدون صنعاً ، أما البترول فقد أصبح فى يد أمريكا ويمكن التفاهم معها حوله وليس مع الخدم العرب . وهكذا. تطورت بصورة درامية مخيفة علاقات الهند والصين مع إسرائيل وبالأخص فى المجال العسكرى.

هل يمكن أن نحمل كامب ديفيد كل هذه النتائج؟

نعم ولكن ليست الاتفاقية فى حد ذاتها أو فى إطار نصوصها ولكن بما مثلته وهيأته لعزل مصر عن العروبة والإسلام، فمصر بلد محورى ما من ذلك فى شك وهى كما ذكرنا القائد الطبيعى للعرب ، والعرب موضعا وثقافة ولغة فى القلب من الإسلام، فعندما تتخلى مصر عن دورها تحدث كل هذه التداعيات المخيفة . هذه حكمة التاريخ .

ولكن الصورة ليست قاتمة إلى هذا الحد بل إن انهيار منهج كامب ديفيد ونصوصها أضحى قاب قوسين أو أدنى بإذن الله.. فغالبية الشعب المصرى أضحت تدرك فساد هذا الطريق وتكتوى بناره فى عقيدتها قبل أحوالها المعيشية المادية والروحية .

كذلك فإن حكمة الله سبحانه وتعالى تقول ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ولا شك أن أحد أشكال الاستبدال أن تتصدر أمم دون أخرى معترك الجهاد .. فتصد المعتدين وتحمل اللواء حتى يأذن الله بالنصر الشامل وهؤلاء يكونون أقرب

إلى الله جل شأنه من غيرهم حيث لا يستوى المجاهدون مع القاعدين .

إن الذين يحملون رايات الجهاد ويتصدون للرسالة هم المجاهدون فى المقاومة الفلسطينية واللبنانية والعراقية والأفغانية والقابضون على أسلحتهم فى مختلف البقاع الإسلامية المحتلة فى الشيشان وكشمير والفلبين وغيرها ، والمجاهدون بالوسائل السياسية ضد حكام التبعية والخيانة . كذلك فان التحالف الإيرانى السورى اللبنانى الفلسطينى هو الذى حال حتى الآن دون الانهيار الشامل للجبهة الشرقية .

ولكن مهمتنا كمصريين وواجبنا أمام الله ثم أمام أمتنا أن نعيد لمصر سيرتها الأولى منارة للعروبة والإسلام دون تعال أو افتخار بل إخباتاً لله عز وجل واحتراماً للمكانة التى وهبها لنا موقعاً وموضعاً وتاريخاً واحتراماً لأنفسنا ولوطنيتنا.

وكما قلت فى نهاية الكتيب منذ اثنى عشر عاماً ليس لدى ما أضيفه الآن .

(إن اغلب حكام الدول الإسلامية جعلوا المهمة أكثر

صعوبة بتخليهم عن مشروع بناء قوة الأمة وان الفجوة بيننا وبين الأعداء تزيد كل يوم بسببهم وان استعادة الأمة الإسلامية لزمام المبادرة على طريق تعديل موازين القوى المختلة حالياً ضدها ، لابد أن يمر بتغيير معظم هؤلاء الحكام وإقامة نظم جديدة تتسم بالانتساب للإسلام وللقرآن ، وهذا يتطلب أول ما يتطلب رفض ما يروجه هؤلاء الحكام حول حتمية وواقعية الاستسلام باعتباره الخيار الوحيد المطروح على الأمة، وما هو فى الحقيقة إلا الخيار المطروح أمامهم لاستمرار التشبث بمواقع الحكم .

ان خيار المقاومة والجهاد هو الخيار الإسلامى وهو الخيار الذى يحقق للأمة صلاح الدنيا والآخرة).

مجدى أحمد حسين

القاهرة : ٧/ ١٠/ ٢٠٠٣

الطريق من كامب ديفيد إلى مدريد

كان السيد الأمريكي قد وعد خلال أزمة الخليج .. وحرب تدمير العراق والكويت .. وعد بأن يعطى عنايته السنية للقضية الفلسطينية المذبوحة منذ عام ١٩٤٨.. وبأن يعير بعض الالتفات لكومة قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة التى أدانت إسرائيل لاستمرارها فى احتلال وضم الأراضى التى سيطرت عليها خلال حرب ١٩٦٧ . وعد السيد الأمريكى بأن يحل القضية الفلسطينية فور الانتهاء من "تحرير" الكويت أى أنه طرح التوالى أو التتابع بديلا عن الربط الذى اقترحه العراق، متغافلاً عن حقيقة أن التتابع لو كان مخلصاً حقا لكان البدء بالقضية الفلسطينية التى غمرتها أمواج النسيان منذ قرابة ربع قرن.. ولكانت قد حُلت بالفعل.. على أى حال .. فمن موقع القوة قررت الولايات المتحدة ما قررت .. ولكن المجرم عندما يرتكب جريمته يظل قلقا.. ويود أن يبذل أقصى جهد لتغطيتها، فبدأت الولايات المتحدة تخشى على "مصداقية" مواقفها فى نظر الشعوب

العربية والإسلامية .. ولما بدأ العام الأول عقب حرب تدمير العراق ينصرم .. بذلت الولايات المتحدة كل جهودها لعقد مؤتمر مدريد .. لتبرهن على صدق وعدها بحل القضية الفلسطينية .. حتى ولو جاءت البداية ببعض الخطب التذكارية التى تؤكد المواقف المعلنة والمعروفة للأطراف المشاركة .

وإذا كانت مشكلة الكويت قد حلت فى ستة شهور .. فإن الوعد بحل القضية الفلسطينية أسفر بعد ١٥ شهرا عن لقاء احتفالى فى مدريد . والقضية الفلسطينية عمرها أكثر من أربعين عاما .. وهى ليست مشكلة صعبة للحل بهذا الحد .. إلا أن القوى الغربية المسيطرة على العالم هى فى حقيقة الأمر حليفة إسرائيل .. وتجمعها معها مصالح استراتيجية كبرى ، بل ويمكن القول ان إسرائيل هى الاختراق الاستيطانى للحضارة الغربية فى الأرض العربية الإسلامية .. فما الفكر اليهودى الصهيونى الذى قامت عليه دولة إسرائيل إلا أحد فروع البناء الفكرى للحضارة الغربية ، ووليد التزاوج بين عقائد اليهود والبروتستانت التى يجمعها تفسير واحد لكثير مما ورد فى النسخة المتوفرة من التوراة والإنجيل (الكتاب المقدس).

وحتى الفرع الماركسى للحضارة الغربية الذى سقط مؤخراً، فقد كان من مؤيدى دولة إسرائيل .. ومن المسارعين إلى تأييد عملية نشأتها الاستعمارية الاستيطانية .. أما التحالف بين المعسكر العربى والمعسكر الشيوعى "سابقا" فقد كان تحالفا سياسيا ضد الولايات المتحدة أساسا .. ثم ضد عدوان ١٩٦٧ وما نجم عنه من احتلالات واسعة.. ثم ضد دور إسرائيل النشط فى الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتى.

ان إسرائيل هى وليدة الحضارة الغربية.. وان قبح هذه "الوليدة" ليكشف زيف المساحيق التى تحاول "الحضارة الغربية" أن تجمل بها وجهها ..

وهكذا فان الحديث الغربى والأمريكى عن حل القضية الفلسطينية هو الرياء بعينه.. والنفاق فى واحد من أنقى صوره.. فالأمريكيون والغربيون يحلمون بإزالة فلسطين من الوجود باعتباره الحل الناجع "للقضية الفلسطينية".

فإسرائيل هى الحليف الذى يمكن الركون إليه ضد أى نزعات تحررية عربية.. وبالأخص ضد المد الإسلامى الراهن.. وهذا ما يحفظ لإسرائيل أهميتها الاستراتيجية على خلاف ما

يروج عن أن إسرائيل قد فقدت أهميتها للولايات المتحدة بعد سقوط المعسكر الاشتراكى ..

وإذا كانت الولايات المتحدة قد اعتمدت أساسا على نفسها وجيشها فى أزمة الخليج.. فان هذا لا يعنى أن ذلك هو الشكل الأمثل والدائم للتعامل مع مختلف الأزمات المتوقعة فى المنطقة .. فلا شك أن لإسرائيل أدوارها المحددة والمعلومة والقابلة للتوسع فى المنطقة.. الحد الأدنى لهذا الدور هو أن يكون لها اليد العليا فى المنطقة المحيطة بها حتى العراق شرقا وحتى مصر جنوبا وغربا.. وأن تكون مستعدة لتأديب أى قوة أو نظام لا يخضع للطاعة الإسرائيلية الأمريكية ..

وبناء على ذلك فان الولايات المتحدة يجمعها بإسرائيل اتفاق عسكرى استراتيجى لا نظير له حتى مع أعضاء الحلف الأطلنطى من الأوربيين .

وفى إطار هذه الوحدة الفكرية والسياسية والعسكرية الاستراتيجية التى تجمع إسرائيل والمعسكر الغربى وعلى رأسه الولايات المتحدة..فمن أين يأتى وجه التعاطف مع القضية

الفلسطينية ؟! لا يوجد أى تعاطف أو مصلحة مشتركة بين الغرب والشعب الفلسطينى.. فالشعب الفلسطينى وتشريده كان هو الضريبة الإجبارية لنشأة هذا الكيان "العبقرى" إسرائيل.. كحصن استيطانى للغرب فى قلب جسد الأمة العربية الإسلامية.. أشبه بحصون الصليبيين التى انتشرت فى شكل قلاع ، ومدن محصنة فى بلاد المشرق .. والقدس فى المقدمة من تلك البقاع.

إن المقاومة الفلسطينية المسلحة ، والحروب التى شنتها إسرائيل فى أغلب الأحيان ، هى التى احتفظت بجذوة القضية الفلسطينية مشتعلة.. وفرضتها على الرأى العام العالمى والمحافل الدولية، ثم قامت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة لتتولى حمل المشعل منذ أربع سنوات.. فى تجديد خلاق ومبتكر للمقاومة الشعبية .. وأصبحت وسائل العصيان المدنى أكثر إيلاما لإسرائيل من الجيوش النظامية.. فقد ضربت إسرائيل فى أحشائها ومن الداخل بعد أن تصورت أنها ضربت المقاومة فى لبنان.. وضمنت سكون الجبهات فى مصر وسوريا والأردن ..

انه نفس قانون الشعوب التى لا تُقهر ويواصل عمله وفعله.. رغم أنف الطغاة والمتجبرين.. ولولا هذه الانتفاضة العظيمة لما تحركت الإدارة الأمريكية قيد أنملة .

ويتصور الرئيس الأمريكى.. وهو فى ذروة عنجهيته وغروره.. أن له شعبية فى بلاد العرب والمسلمين والعالم بأسره.. وأن أمامه فرصة العمر لحل المشكلة الأزلية "القضية الفلسطينية" كى يصل إلى ذروة المجد.. وهو الحل الذى يؤمن السيطرة الأمريكية على المنطقة ويضرب ويحطم كل النتوءات التى تعترض مجرى هذه السيطرة الأمريكية.. وهو فى غياب المعسكر المنافس يتصور أنه يستطيع أن يحصل على أى شئ .. دون أن يقدم أى مقابل.. ولكن هيهات.. فهذا ضد منطق الأشياء.. والتاريخ ..

فى ضوء هذه الخلفية نقترب من مدريد .. لنفحص الدوافع لعقد المؤتمر وماذا جرى حتى الآن ؟ وماذا تحقق؟ وماذا يراد بأمتنا خلال المرحلة القادمة ؟ ولكن السؤال الأول الذى يطرح نفسه هو: هل كان الذهاب لمؤتمر مدريد انتصارا لخط كامب ديفيد؟ وأن الحكومة المصرية كانت بعيدة النظر حين سبقت

العرب فى هذا الطريق.. وأن معارضة كامب ديفيد لم تعن سوى تضييع لحوالى أربعة عشر عاما كان يمكن فى بدايتها حل المشكلات العربية الناجمة عن احتلال الأراضى .. وكان الفلسطينيون قد استلموا الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٧٨.

ان هذا الطرح الذى يسود إعلامنا فى مصر ويسود التصريحات الرسمية يستتبع أن نبدأ البداية الصحيحة من كامب ديفيد .. حتى نصل إلى الرؤية الصحيحة فى مدريد .

من مبادرة القدس .. إلى كامب ديفيد

لا نريد أن نغوص كثيرا فى أعماق التاريخ القريب لمسيرة التسوية ، وقد كتب حولها عشرات ومئات الكتب ، ولكننا نسترجع القدر اللازم لتحليل ما يجرى الآن فى مؤتمر مدريد وما يليه من مباحثات فى واشنطن .

ان النظرة الموضوعية لمسيرة كامب ديفيد التى بدأت بزيارة السادات للقدس المحتلة عام ١٩٧٧ وحتى الآن تكشف أن الإنجاز الملموس والواقعى الوحيد بالمعنى الإيجابى يتمثل فى استعادة مصر لسيناء من الناحية الإدارية.. ويرد مناصرو "كامب ديفيد" من كتبة الحكومة فيقولون وهل هذا بالشىء القليل ؟ بالطبع ليس بالأمر القليل، ولا شك أن مصر قد أخذت شيئا من صفقة كامب ديفيد (وهو استعادة سيناء).. والقضية دائما تكون ما هو الثمن الباهظ الذى تعين على مصر أن تدفعه ومازالت تدفعه وفقا لهذه الصفقة .. ولا شك أن مناقشة هذا الأمر عام ١٩٩١ يختلف عن عام ١٩٧٧ لأن سيناء عادت بالفعل لمصر، وليس هدف المناقشة أن نطالب

الآن بإعادة سيناء لإسرائيل!! الهدف من مناقشتنا الآن عام ١٩٩١ :

أولا : ألا نقدم خبرة مصر فى كامب ديفيد باعتبارها خبرة رائدة وناجحة .

ثانيا: أن نكشف القيود التى كبلت أيدى مصر كى يدرك أى حاكم وطنى ذكى ضرورة التخلص منها تدريجيا دون أن يفقد سيناء .

ثالثا: أن نسترد الثمن الباهظ الذى دفعناه .. ويتعلق بالسيادة والاستقلال .. وبصلاتنا العضوية والتاريخية بالجسد العربى - الإسلامى .

ان قصة انفراد الحاكم المصرى (السادات) بخط التسوية مع إسرائيل .. تعبر عن خطة متكاملة لحل مشكلات مصر بعيدا عن عمقها العربى - الإسلامى .. واعتمادا بالتحديد على الولايات المتحدة بمنطق أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى أيدى أمريكا .

والأمر الذى لا جدال فيه أن السادات استثمر كل عوامل الانحلال والضعف والملل والسأم الذى أصاب قطاعات غير قليلة من الشعب المصرى .. من قضية الصراع العربى الإسرائيلى .. فمنذ عام ١٩٤٨ ونحن نتعرض لهزائم متولية ونخسر الأرض وتتوسع إسرائيل .. وحتى نصر أكتوبر

١٩٧٣ تحول إلى نصر جزئى باختراق الديفرسوار واحتلال الضفة الغربية للقناة والوصول إلى الكيلو ١٠١ فى طريق السويس.. وحصار الجيش الثالث فى سيناء .. فى مقابل تحرير شريط من سيناء لا يزيد عمقه عن ١٥-٢٠ كيلو مترا وبدون وصول قواتنا إلى الممرات الاستراتيجية فى سيناء .. بحيث ظل الإنجاز الرئيسى فى عملية العبور ، وإسقاط خط بارليف الحصين .

إن أسلوب الحكومات المصرية والعربية المتتابعة فى إدارة الصراع مع إسرائيل أصاب الجماهير بالسأم واليأس .. وعدم رؤية نهاية واضحة له .. وبعد ثقة الجماهير عشية حرب ٥ يونيو فى إمكانية اقتحام تل أبيب أصبح ذلك- فى وجدان الشعب - من قبيل المستحيلات .. خاصة وأن الحديث أصبح يدور حول - ولا يتعدى - إزالة آثار العدوان ، والتى مازلنا نتحدث فيها حتى الآن (بعد ٢٤ عاما).

وقد استثمر الحكم فى مصر - رغم مسئوليته عن ذلك - هذه الحالة ليقوم بمبادرة القدس (زيارة السادات ١٩٧٧) حيث تصور السادات أن زيارته للكنيست سيكون لها وقع السحر فتقوم إسرائيل بالإعلان عن الانسحاب من معظم سيناء فورا (خط العريش- رأس محمد) على طريقة إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها .

والعكس هو الذى حدث ، فقد "أرهق" اليهود السادات على مدار عامين .. ولم يخرج إلا بمعاهدة سلام منفردة .. كان ينفى باستمرار أنها هدفه .. ولم تستر هذا الانفراد ألفاظ عمومية .. غامضة .. ومائعة عن الحكم الذاتى للفلسطينيين .. الذى كان فى الحقيقة تقنينا للاحتلال الإسرائيلى (اتفاقيتا كامب ديفيد) وهذا أخطر ما فى صفقة كامب ديفيد ، أنها عزلت مصر عن العرب ففقدت أهم مصادر قوتها الذاتية.. وكانت القوة الوحيدة للمفاوض المصرى .. أنه يبيع ثقل ووزن مصر..ودورها القيادى فى المنطقة .. واستقلالها السياسى والاقتصادى فى سبيل الحصول على الأراضى المصرية المحتلة ..

وسواء أكانت هذه الخطة فى رأس الرئيس السادات منذ البداية أم أنه أُكره عليها خلال المفاوضات القاسية بين نوفمبر١٩٧٧ إلى مارس ١٩٧٩ .. فهذا هو ما حدث بالفعل.. وبمراجعة الوثائق الرسمية نفسها بدءا من خطاب السادات فى الكنيست الإسرائيلى ، نجد أن كل ما طالبت به مصر عدا استعادة سيناء .. لم تستجب له إسرائيل..ولم تضغط أمريكا على إسرائيل لقبوله..وهذا ما سنوضحه تفصيلا.

الحل المنفرد

إن اندفاع السادات فى التسوية المنفردة مع إسرائيل لم يكن من قبيل الذكاء الزائد الذى لا يتحلى به أقرانه من الحكام العرب .. ولم يكن من قبيل بُعد النظر.. بمعنى أن السادات سبق عصره!! كما يقال الآن .

الفارق الجوهرى بين السادات - وغيره من الأطراف العربية "سوريا- الأردن - منظمة التحرير - لبنان" فيما يتعلق بالتسوية مع إسرائيل .. أن السادات تلقى وعودا صريحة من أمريكا ، ومن إسرائيل بإمكانية الانسحاب من سيناء .. وكان هذا هو الطعم الثمين الذى جذبوا به السادات ، ومن ثم مصر بعيدا عن محيطها العربى ، فى حين لم يتلق الأسد أى وعود بإعادة الجولان على أى صورة من الصور .. بل إمعانا فى التحدى والإذلال تم ضم الجولان إلى إسرائيل.. ورغم الاتصالات الدبلوماسية المباشرة وغير المباشرة .. فلم يكن لدى الملك حسين أى وعد بالانسحاب من الضفة الغربية أو

حتى أجزاء منها ، ومن باب أولى لم يكن شيئا مطروحا لمنظمة التحرير.. غير المعترف بها أصلا من أمريكا وإسرائيل ، بل بالإضافة لذلك تم احتلال أراضى جديدة فى جنوب لبنان.. لا يبدو أن إسرائيل تنوى الانسحاب منها بسهولة ..

وهكذا .. فان سيناء كانت هى الورقة الإسرائيلية الرابحة لفصل مصر عن عالمها العربى والإسلامى .. بما تمثل من مركز وثقل وقيادة وتأثير عسكرى وسياسى واقتصادى ، وقد رأت أمريكا وإسرائيل أن هذا الهدف الاستراتيجى يستحق أن يدفع ثمنه .. بإعادة سيناء ، وسنتحدث فيما بعد عن عودة سيناء منقوصة السيادة، ولكن لا شك أن سيناء عادت من الناحية الإدارية إلى مصر ، وبعد جهود مضنية لحل مشكلة طابا ، وهذا الطعم ألقى للسادات فى لقاءات سرية بالمغرب بين دايان وحسن التهامى قبل سفر السادات إلى إسرائيل، ولا شك أن هذا الوعد حصل عليه السادات من الولايات المتحدة وطوال فترة ما بعد زيارة القدس كان الانسحاب من سيناء بديهيا .. فيما عدا (المستوطنات والمطارات)، وتم استغلال قضية المستوطنات الإسرائيلية والمطارات فى سيناء لإرهاق أعصاب السادات ..ودفعه فى النهاية للتخلى عن كل

الأراضى العربية المحتلة .. فى مقابل الحصول على سيناء كاملة (من الناحية الإدارية) .

وهذه حقيقة لا بد أن تقال لتفسير فشل الحل الشامل .. ونجاح الحل المنفرد فى ظل كامب ديفيد .. فلا "فهلوة" أو "ذكاء السادات" ولا "بُعد نظره" كان وراء نجاحه بينما فشل الآخرون ..

وفيما يلى ملخص التنازلات الساداتية من نوفمبر ١٩٧٧ حتى مارس ١٩٧٩ تاريخ توقيع المعاهدة المصرية - الإسرائيلية :

فى خطاب السادات أمام الكنيست الإسرائيلى قال :

إننى لم أجئ إليكم لكى أعقد اتفاقا منفردا بين مصر وإسرائيل، وإنما لاتفاق سلام يقوم على :

١) إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية التى احتلت فى عام ١٩٦٧.

٢) تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير المصير بما فى ذلك حقه فى إقامة دولته .

٣) حق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدودها الآمنة .

٤) التزام دول المنطقة بعدم الالتجاء إلى القوة وفقا لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة .

٥) إنهاء حالة الحرب القائمة فى المنطقة (نوفمبر ١٩٧٧).

*****

ولكى نختصر المسافات نقول أن اتفاقيتى كامب ديفيد ١٩٧٨ ثم معاهدة السلام ١٩٧٩ لم تحقق أى هدف من هذه الأهداف الخمسة، إلا فى البند الأول بصورة جزئية (أى الانسحاب من سيناء) ،وبالنسبة للبند الخامس لم يتحقق إلا بالنسبة لمصر، حيث لم يكتف بإنهاء حالة الحرب .. وإنما دخلت مصر فى موجة من التطبيع مع إسرائيل وعلى أساس التمثيل الدبلوماسى ، والذى بدأ واحتلال سيناء مازال قائما .

وعلى مدار قرابة ١٤ شهرا من المفاوضات تساقطت المطالب المصرية الواحد تلو الآخر، وبصورة تجيب بالنفى على سؤال: هل كان بإمكان سوريا أو الأردن أو منظمة التحرير أو لبنان أن تشارك فيها ؟!

وسنلتزم بالتتابع الزمنى فى عرض الوقائع التالية :

* خلال الزيارة الأولى التى قام بها السادات لإسرائيل صرح موشى ديان لبطرس غالى :

(فى حدود معلوماتى فانه لا يوجد أدنى أمل فى أن ننجح فى اجتذاب الأردن والفلسطينيين إلى مائدة المفاوضات ، وانه بناء على ذلك ، فان على مصر أن تكون على استعداد لتوقيع اتفاق سلام معنا ، حتى ولو لم يلحق بها الآخرون) .

* وفى مؤتمر القاهرة الذى عقد فيما بعد فى مينا هاوس .. وعلى خلاف ما يردده الآن بعض المسئولين المصريين فقد كان من شروط مجرد دخول الإسرائيليين قاعة الاجتماعات أن تنزع لافتة منظمة التحرير الفلسطينية ، ورفضوا كحل وسط لافتة باسم "فلسطين" وقال بن اليسار رئيس الوفد الإسرائيلى :

(إذا وضعتم هذه اللافتة على المائدة فان الوفد الإسرائيلى لن يدخل قاعة الاجتماعات).

وبالنسبة لعلم فلسطين قال "بن أليسار" (لن يفتتح مؤتمر القاهرة حتى تتم إزالة هذا العلم الغريب) وانتهى الأمر بإزالة

جميع الأعلام ، وإزالة اللافتة الفلسطينية ، وبعد ذلك يقولون الآن اعتمادا على ضعف الذاكرة ، وربما اعتمادا على أن هذه الوقائع لم تنشر فى وسائل الإعلام المصرية ، يقولون ان علم فلسطين كان مرفوعا ومقعد فلسطين كان موجودا وشاغرا إلا أن منظمة التحرير رفضت الدعوة!! وأضاعت على نفسها فرصة استلام الضفة الغربية وقطاع غزة ١٩٧٨ ، ولا يوجد استهزاء بالعقول أكثر من ذلك ، أو تلاعب بوقائع التاريخ القريب أكثر من ذلك .

* قال السادات لوايزمان عندما زاره الأخير فى القاهرة (انه لا يستطيع أن يقيم السلام طالما لا تزال إسرائيل تحتل الأراضى العربية ، وأنا أعرف ما يمكن أن يقبله الشعب المصرى ، وما يمكن أن يرفضه ، وإذا أجبرت الشعب على قبول أمر غير منطقى فسوف يكون رد فعله عدوانيا فى المستقبل).

ولكن السادات - نتيجة ضغوط المفاوضات - سرعان ما تنازل عن كل الأراضى العربية وفى مقدمتها القدس .

* وفى نفس اللقاء أكد السادات لوايزمان استعداده لتعيين سفير فى القدس .. والعلاقات الكاملة .. والتطبيع الكامل .

* عقب ذلك أعلن بيجن عن مشروعه للحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة .. وهو تقريبا الذى تم الأخذ به فى اتفاقية كامب ديفيد المتعلقة بالشق الفلسطينى.

ومشروع بيجن يضع الأساس لإلحاق الضفة الغربية وغزة بإسرائيل بصورة تدريجية عقب بناء أكثر من ٧٠ مستوطنة فى ذلك الوقت (بداية ١٩٧٨) ويمنح المشروع الفلسطينيين قدرا محدودا من الحكم الذاتى ، ويبقى لإسرائيل الحق فى شراء الأراضى واستيطانها فى منطقة الحكم الذاتى ، ويترك المشروع لإسرائيل بمفردها السيطرة الكاملة فى مجال الدفاع والسياسة الخارجية. أما الفلسطينيون فسيصبحون أحرارا فى اتخاذ القرارات المتعلقة بأفضل الأماكن لوضع أنابيب المجارى فى منطقة "حيرون" مثلا ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يقيموا جيشا ، أو يرفعوا علما ، أو أن تكون لهم عملتهم الخاصة ونشيدهم القومى الخاص .

* وعندما التقى بيجن مع الرئيس الأمريكى كارتر فى واشنطن ليشرح له مشروع الحكم الذاتى باعتباره "مشروع سلام"!! أكد أن القوات الإسرائيلية ستبقى فى قواعد دائمة بالضفة والقطاع، وكذلك الأمر بالنسبة للمستوطنات .

* وفى الإسماعيلية وافق السادات على اجتماع اللجنة السياسية (التى تتولى الجوانب السياسية فى المفاوضات) فى القدس باعتبارها عاصمة إسرائيل !! وهو أمر لم تعتده إسرائيل حتى من أقرب حلفائها، وقد كان يمكن تفسير هذه الموافقة بأنها تمثل اعترافا بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل .

وفى لقاءات الإسماعيلية طالب السادات بمجرد إعلان مبادئ "لمساعدته" ضد جبهة الرفض العربية .. وقال لبيجن حول القضية الفلسطينية (ان من مصلحتكم أن أستمر زعيما للعالم العربى ، وأنا أستطيع أن أنهى عرفات تماما فى بحر أسبوعين ، ولكن يجب أن يكون هناك ما يمكننى أن أقدمه ، وإلا فإنهم سوف يرجموننى بالحجارة).

وسنرى فى النهاية ما الذى يمكن أن تقدمه إسرائيل له..

وقال بيجن (اننا على استعداد لقبول نص القرار ٢٤٢ بدون ديباجته كمقدمة لعقد معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر).. وذلك لأن الديباجة تنص على مبدأ عدم جواز ضم الأراضى بالحرب.. وقد ظل بيجن على موقفه حتى النهاية ، ولم توضع هذه الديباجة لا فى اتفاقيتى كامب ديفيد ، ولا فى

المعاهدة مع مصر،حتى لا تصبح إسرائيل ملتزمة بالانسحاب من غزة والضفة الغربية والجولان وجنوب لبنان .

وطالب السادات بحق تقرير المصير للفلسطينيين حتى لا (أتهم بأننى قد بعت الفلسطينيين).

* وقال عصمت عبد المجيد - فى لقاء الإسماعيلية للسادات انه إذا لم يصدر إعلان حول المسألة الفلسطينية (فان ذلك سوف يكون بمثابة إقرار بالاستسلام) .

* فى يناير ١٩٧٨ وفى لقاء السادات - وايزمان بدت علامات أخرى للتراجع ، حيث قال السادات :

(سوف تحصلون على سلام حقيقى ، ولكننى يجب أن استعيد جزءا من الأراضى التى أخذتموها منا).

* وعندما ذهب إبراهيم كامل وزير الخارجية إلى إسرائيل ماذا سمع من بيجن على رؤوس الأشهاد ردا على مطالبة كامل بحق تقرير المصير للفلسطينيين وإعادة القدس؟

قال بيجن : انه يريد أن (ينشئ دولة إرهابية على أبوابنا ليذبح نساءنا وأطفالنا، ان العرب تمتعوا بحق المصير فى إحدى وعشرين دولة، وهم يريدون أن ينشئوا دولة جديدة

بتقرير المصير، ليقضوا على مصيرنا ، إننى أقولها صريحة عالية ، لا لتقسيم القدس .. لا للانسحاب إلى حدود ١٩٦٧ ..لا لحق تقرير المصير (للإرهابيين) أى (الفلسطينيين).

وقد كان لبيجن ما أراد فى النهاية (ويلاحظ التماثل فى المنطق والحجج مع خطاب شامير فى مؤتمر مدريد).

* فى ٦ يناير ١٩٧٨ يعترف كارتر فى مذاكرته أن الإسرائيليين يواصلون بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة بسرعة رغم تعهدهم بعكس ذلك .

* فى مارس ١٩٧٨ تقوم إسرائيل بغزو كل جنوب لبنان ويكون رد السادات هو دعوة ما يسميه (صديقه) وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى إلى القاهرة بينما تجتمع جامعة الدول العربية لمناقشة العدوان الإسرائيلى على جنوب لبنان .. وبدأ المسئولون الإسرائيليون يثقون فى السادات .. لرد فعله المعتدل من غزو لبنان باعتباره أول علامة ذات دلالة على حدوث تغير حقيقى فى نظرة مصر إلى العالم العربى !!

والواقع أن هذا الغزو نجم عنه ـ بالإضافة لضرب قواعد منظمة التحرير ـ استمرار احتلال الشريط الحدودى الجنوبى فى لبنان والذى ما يزال محتلا حتى الآن .

وفى لقاء السادات مع وايزمان .. يقول له انه شطب منظمة التحرير من قاموسه السياسى ومؤكدا معارضته إقامة دولة فلسطينية.. ولكنه طلب من وايزمان أن يكتم هذا السر عن بيجن(!!).

كما وافق السادات على حق اليهود فى شراء أراضى بالضفة الغربية ، وعلى إلغاء فكرة الاستفتاء وبقاء القوات العسكرية الإسرائيلية فى الضفة وكذلك المستوطنات (!!!).

وهكذا نجد فى ظل مبادرة السادات أن الأراضى العربية المحتلة قد اتسعت مساحة .. وزادت رقعة ونطاق عمل قوات الجيش الإسرائيلى كما سيتضح أكثر فيما بعد .. ففى هذه المرة توقف الجيش الإسرائيلى عند حدود نهر الليطانى ..ولكنه بعد ذلك سيصل إلى بيروت وبغداد وتونس!!!.

* فى لقاء كارتر مع بيجن فى مارس ١٩٧٨ ..كان كارتر لا يزال يحسن الظن فى "صلابة" الموقف الساداتى ، حيث قال له (ان موافقة إسرائيل على ترتيبات أمنية فى الضفة الغربية تمثل الفرصة الوحيدة للتوصل إلى اتفاق مع مصر) ..ولكن السادات خذل كارتر وتوصل إلى اتفاق مع إسرائيل .. مع ترك وضع الضفة الغربية مفتوحا كما كان يطالب بيجن .

* ولنأخذ تقييم مشروع الحكم الذاتى الإسرائيلى من أفواه المسئولين الأمريكيين .. رغم أنهم انحازوا فى النهاية للصيغ المطاطة التى تخدم التفسير الإسرائيلى .

قال بريجنسكى موجها حديثه لبيجن ودايان .. إن مقترحاتهم بخصوص الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة يمكن تفسيرها على أنها تمثل تخليدا للسيطرة الإسرائيلية على المنطقة.

كارتر: إذا لم تسمحوا لسكان الضفة الغربية أن يقرروا هويتهم فى المستقبل فلن يكون هناك أمل فى التوصل إلى حل سلمى ، وإذا لم تعطهم إسرائيل صوتا فلن تصل إلى اتفاق .. وهذا أمر حيوى إلى أقصى حد ، حتى ولو كان هدفكم هو ابرام معاهدة مع مصر فقط.

دايان: إننا نوافق على أن نتخلى عن السيطرة على السكان، ولكننا سوف نعارض أية صياغة تتحدث عن تخلينا عن السيطرة على الأراضى.

بيجن : إن إجراء استفتاء فى الأراضى المحتلة يمثل بالنسبة لنا تهديدا نفسيا وعضويا أيضا .

كـــارتر يأمل أن تستبدل إسـرائيل سيطرتها الـسياسـية بترتيبـات أمنية. (لاحظ أن هذا هو مفتـاح الموقف الأمريكي من احتمالات التسوية الذى ما زال مـستمرا حتى مؤتمر مدريد ولكن دون ممارسة ضغوط غير عادية على إسرائيل) .

* وفى هذا الاجتـمـاع أيضـا تم التـوصل إلى ٦ لاءات إسرائيلية :

١) لا انسحـاب عسكرى أو سيـاسى من أى جزء من الضـفة الغربية.

٢) لا توقف عن إقامة المستوطنات أو توسيعها.

٣) عدم إجلاء المستوطنات من سيناء .

٤) قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لا ينطبق على الضفة والقطاع .

٥) لا يرغبون فى منح العرب الفلسطينيين أى سلطة حقيقية.

٦) أو الحق فى تقـرير المصيـر بين الاسـتـقـلال أو الارتبـاط بالأردن أو إسرائيل .

وسنرى أن هذه اللاءات اسـتـمـرت مـحتـرمـة وأقـرت فى الاتفاقيات عدا مستوطنات سيناء.

* أعـرب وايزمان لمجلس الوزراء الإسـرائيلى عن تقـديره -وقد كان ثاقبا- لموقف السادات بقوله :

(ان كل مـا تريده مصـر هو غطاء ساتر على شكـل إعلان للمبادئ)!

* في يونيو ١٩٧٨ كتب مدير المخابرات المصرية فى رسالة إلى وايزمان:

(لقد تركتم الفلسطينيين دون أمل ، ونحن نشعر بخيبة أمل كبيرة فى الإجابات الإسرائيلية على الأسئلة الأمريكية).

* في يوليو ١٩٧٨ التقى السـادات بوايزمان وقال له : أنـا أتفق معكم فى أنه لا يجوز تقسيم القدس مرة أخرى ، ولكنها يجب أن تدار بشكل مختلف (يقصد بصورة مشتركة)،وبهذا تخلى عن مبدأ تحرير القدس الشرقيـة من قبضة الصهاينة وفقا للقرارات الدولية .

* فى٥ سبتمبر ١٩٧٨ عقـد "مؤتمر كامب ديفيد" واستهله بيجن بتأكيد :

(إننا لن نقبل سيـادة أخرى على يهودا والسامـرة (الضفة) وغزة غير سيادة دولة إسرائيل).

وتقدمت مصر بورقة لم يؤخذ بكل ما جاء فيها فيما يتعلق بغير مصر ..

- الانسحاب لحدود ١٩٦٧ ، إزالة المستوطنات ، منع انتشار الأسلحة النووية ، ضمانات أمنية متعددة .

أما التنازلات التى جاءت فى الورقة المصرية فقد أقرت بالطبع وزيادة :

- تطبيق مبدأ حرية الملاحة فى مضايق تيران وقناة السويس.

- إقامة علاقة من التعاون وحسن الجوار،إنهاء المقاطعة الاقتصادية، الاعتراف بإسرائيل ، عدم استخدام القوة فى المنازعات ، وتحولت هذه النقاط إلى تطبيع كامل وعلاقات دبلوماسية .

ومن الأمور الأخرى التى لم يؤخذ بها وجاءت فى الورقة المصرية:

- إلغاء الحكم العسكرى فى الضفة والقطاع عند التوقيع على المعاهدة .

- نقل السلطة إلى الجانب العربى.

ـ الفترة الانتقالية تبدأ يوم التوقيع وتشرف خلالها الأردن على الضفة ، ومصر على غزة .

ـ انسحاب إسرائيل من القدس.

ـ التعويض المالى تدفعه إسرائيل عن أضرار عملية الاحتلال.

كل هذه النقاط لم يؤخذ بها.. وقد يقال أن التفاوض يبدأ بالتشدد للحصول على حل وسط ، ومن الواضح أنه فيما عدا استرجاع سيناء الإدارى .. فلم يكن هناك حل وسط ، بل حل إسرائيلى ورؤية إسرائيلية كاملة .

* أكد الإسرائيليون أن مسائل مثل رصف الطرق وإمدادات المياه فى الضفة والقطاع تدخل فى نطاق أمن إسرائيل ولن تترك للحكم الذاتى !!

* أبلغ السادات كارتر أن تنازله عن الأراضى المحتلة لإسرائيل لن يعلنه فى الجلسات الأولى(!!).

* اعترف كارتر أن اتفاقيتى كامب ديفيد لم تعالج :

١ـ السيادة على الضفة الغربية وغزة .

٢ـ المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة وغزة .

* ويقول كـارتر (وليس جبهة الرفض العـربية) عن الحكم الذاتى المقترح من الإسرائيليين :

(لن يوافق أى عربى يحترم نفسه على ذلك . إن الأمر يبدو وكأنه خدعة) .

(ولو كنت عربيا لفضلت الاحـتلال الإسرائيلى القائم على ما تقدمونه من مقترحات).

* كمـا رفض بيجن دخـول قوات مـصرية أو أردنيـة لغزة والضفة فى الفترة الانتـقالية باعتباره اقتراحـا لا يستحق مجرد المناقشة !!

* أدرك كارتر مسـتوى الخلافات بين السادات ومـساعديه نتيجة تنازلات السادات..لدرجة أنه خشى على حياته منهم .. وأمر فى إحدى الليالى بتكشيف إجراءات الأمن حول مسكن السادات !! (وفقا لمذكرات كارتر).

* إن تحـيـيد مـصر واخراجـها من الصـراع كان هدفـا ثابتا لإسرائيل ، وهذا ما قاله دايان للسادات مباشرة :

(الشـعب الإسرائيلى لا يخـشى من بين الدول العربـية إلا

مصر، فهى الدولة الوحيدة القادرة على تهديد إسرائيل تهديدا حقيقيا).

الصيغة النهائية لاتفاقيتى كامب ديفيد :

ونواصل حديثنا عن الشق العربى والفلسطينى خاصة ، والذى لم يتم تنفيذه وكيف تم اغتياله فى هاتين الاتفاقيتين .

استخدمت الاتفاقية تعبير حكم ذاتى للسكان وأحيل كل شئ تقريبا إلى التفاوض بين الأردن ومصر وإسرائيل والسكان المحليين.

واتسمت الاتفاقية فى هذا الجانب بالميوعة والغموض كما وصفها عن حق إبراهيم كامل وزير خارجيتنا فى ذلك الوقت ، والذى استقال احتجاجا على هذا النص.

- وهناك إشارة إلى سحب القوات الإسرائيلية إلى مواقع أمنية معينة داخل الضفة والقطاع (أى عدم إنهاء الاحتلال العسكرى).
- وإشارة أخرى لدوريات عسكرية مشتركة إسرائيلية - أردنية لضمان أمن الحدود (!!).

- هناك فترة انتقالية للحكم الذاتى تستمر ٥ سنوات يتم بعدها تحديد الوضع النهائى للضفة وغزة ، وعقد معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن فى نهاية الفترة الانتقالية .

- وسيبقى البوليس المحلى مع اتصال بالضباط الإسرائيليين ! !

- إسرائيل تشارك فى إقرار عودة المشردين من حرب ١٩٦٧.

وتم اختراع أسلوب الخطابات المتبادلة كملاحق لوثائق كامب ديفيد ، وهو أشبه بلعب الأطفال ، فيرسل السادات لكارتر رسالة يقول فيها ان القدس عربية . ويرسل بيجن رسالة مضادة لكارتر يقول فيها ان القدس الموحدة هى عاصمة دولة إسرائيل ، وخطاب السادات لكارتر ضرب به عرض الحائط ، أما خطاب بيجن فهو إقرار للأمر الواقع الذى مازال مستمرا حتى عام ١٩٩١.

أما فيما يتعلق بغزة فقد ضربت بكل اقتراحات مصر حولها عرض الحائط أيضا ، وأخذت حكومة مصر موقفا غير أخلاقى وغير مسئول بالتخلى عن غزة التى كانت فى حمايتها

وتحت إشرافها قبل ١٩٦٧ ، وتركتها للمجهول ، أو بالأحرى للاحتلال ! !

*****

هذه باختصار شديد إشارات سريعة لرحلة تخلى حكم السادات عن مسئوليته العربية .. للحصول على حل منفرد يربط مصير مصر بحلف أمريكى - إسرائيلى - غربى تكون مصر الطرف الأضعف فيه.. بل والطرف الخادم .

وقد تطورت الأحداث لتشبت ذلك منذ توقيع المعاهدة المصرية الإسرائيلية فى مارس ١٩٧٩ فقد ضمنت إسرائيل الجبهة الجنوبية فانطلقت بصورة متوحشة ولتنشب أظافرها فى الجسد العربى الإسلامى..

* انطلقت عملية بناء المستوطنات فى الضفة والقطاع .
* بدأت مباحثات الحكم الذاتى بين مصر وإسرائيل تتعثر حتى توقفت تماما بالفشل الذريع.
* عام ١٩٨٠ قرر الكنيست ضم القدس المحتلة ، وجعلها عاصمة إسرائيل .
* وبعد يومين من اجتماع السادات وبيجن فى شرم الشيخ

فى ٤يونيو ١٩٨١ قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف المفاعل النووى العراقى .

* وفى ديسمبر ١٩٨١ أعلنت إسرائيل إخضاع مرتفعات الجولان للقانون المدنى الإسرائيلى أى ضمها.

ونلاحظ أن كل هذه الإجراءات والتعديات قد حدثت وأجزاء واسعة من سيناء لا تزال محتلة كضمان لصمت مصر.. أو بالأحرى كضمان لاقتصار رد الفعل على مجرد بيان الأسف والحزن .

* وبعد تأكدهم من ترويض حكومة مصر فى هذه الاتفاقيات.. وبعد الانسحاب شبه الكامل من سيناء ، وبالتحديد فى يونيو ١٩٨٢، تقوم إسرائيل بأكبر غزو للبنان يصل إلى احتلال بيروت.. ويتسبب فى مذابح صابرا وشاتيلا .. ولا تملك مصر إلا سحب سفيرها للتشاور .

* ثم قامت الطائرات الإسرائيلية بتدمير مواقع الصواريخ الدفاعية السورية الجنوبية كما دمرت ٨٦ طائرة سورية بدون أن تفقد طائرة واحدة ، وكان ذلك ثمرة للتعاون الاستراتيجى مع الولايات المتحدة.

* فى أكتوبر ١٩٨٥ جاء دور تونس حيث قامت الطائرات الإسرائيلية بتدمير مكاتب منظمة التحرير وأجزاء من قرية مجاورة.

* ثم قامت أمريكا فى أبريل ١٩٨٦ بغارات جوية ضد ليبيا..

وخلال كل هذه العمليات أصبحت الحكومة المصرية إحدى ركائز الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة .. فبعد أن استخدمت أراضيها لانطلاق عملية عسكرية فاشلة ضد إيران لتحرير الرهائن الأمريكيين (عملية طبس) شاركت الحكومة المصرية فى إذكاء نار الحرب العراقية ـ الإيرانية ، وبهدف محاصرة وإجهاض الثورة الإسلامية فى إيران .. ثم كان للحكومة المصرية دورها فى ضرب القوة العسكرية والصناعية العراقية ضمن أزمة الخليج الأخيرة .. ومازالت هذه الحكومة تشارك فى المخطط الأمريكى لمحاصرة وتجويع شعب العراق.

وقبل أن نصل إلى أعتاب مؤتمر مدريد .. ينبغى أن نركز النتائج المستخلصة من العرض السابق فى النقاط التالية :

١ـ ان مصر حققت اتفاقية ومصالحة منفردة وتخلت عن القضايا العربية ، وفى مقدمتها فلسطين .. بدعوى أن ذلك أقصر الطرق للخلاص من مشكلة احتلال الأراضى المصرية .

٢ـ ان مصر هى الدولة الوحيدة من الدول التى تعرضت للاحتلال التى تلقت وعدا سريا بجلاء القوات الإسرائيلية عن أراضيها .

٣ـ ان الأطراف المعنية العربية الأخرى لم يكن لديها أى حافز للمشاركة ، لعدم وجود أى ثمار متوقعة فى ذلك الوقت.

٤ـ ان صياغات كامب ديفيد خاصة فيما يتعلق بالحكم الذاتى الفلسطينى برهنت لغير المشاركين أن شيئا لم ولن يفوتهم فى هذه اللعبة الخاسرة ، حيث لم يكن الحديث عن الربط

بين مشكلة مصر والمشكلات العربية المماثلة إلا مجرد ربط لفظى.

٥ـ ان مباحثات الحكم الذاتى بين مصر وإسرائيل ، وصلت إلى طريق مسدود بعد٣ سنوات وتم إيقافها .. ولم تهتم الإدارة الأمريكية بذلك ، حيث تحقق لهم ما يريدون من إضعاف مصر والعرب..بفصلهما عن بعضهما البعض، وتعميق العلاقات المثلثة المصرية ـ الإسرائيلية ـ الأمريكية.

كما ذكرنا فان صياغات كامب ديفيد..والاتصالات السياسية والدبلوماسية المصاحبة لها لم تجعل هناك أى دافع لأى طرف عربى للمشاركة .

ولا شك أنه كان من قبيل التخلى أو الغدر أن توقع أكبر دولة عربية على معاهدة مع إسرائيل تقول : (يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسى) أى سيادة وأى سلامة أراضى وإسرائيل تحتل أراضى الدول العربية..وتوقع مصر على معاهدة تنص على عدم استخدام القوة ولا حتى مجرد التنظيم أو التحريض أو الإثارة أو المساعدة أو الاشتراك فى فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر فى أى مكان..كما يتعهد كل طرف بأن يتكفل بتقديم مرتكبى مثل هذه الأفعال للمحاكمة !! أى تكبيل مصر حتى عن "التحريض" على " نشاط هدام" ضد إسرائيل فى وقت تشن هى فيه العدوان فى كل الاتجاهات كما

ذكرنا فى العرض السابق ، وتعلن تمسكها بالقدس والضفة الغربية والجولان وجنوب لبنان.

ولكن ماذا جنت مصر من الاتفاق المنفرد؟

أولا: السيادة المنقوصة فى سيناء

ركزت فيما مضى على تعبير الاستعادة " الإدارية" لسيناء ، تأكيدا على عدم عودة السيادة المصرية على سيناء ، فقد أصبحت سيناء فى معظمها منزوعة السلاح ، وتتواجد بها قواعد للقوات المتعددة الجنسية، وعلى رأسها قوات أمريكية للمراقبة والتفتيش والإنذار المبكر، وسمح بتسليح مصرى محدود لا يتجاوز فرقة ولا يزيد عدد أفرادها عن ٢٢ ألف جندى فى المنطقة (أ) الملاصقة لقناة السويس .. باختصار لقد تم التعامل مع مصر باعتبارها معتدية ، ويجب حماية إسرائيل من عداونها المتكرر.. فى حين أن العكس هو الذى حدث فى عدوان ١٩٥٦ ، وعدوان ١٩٦٧، فلم يحدث هجوم على إسرائيل انطلاقا من سيناء منذ ١٩٤٨ حتى الآن ، ولكن إسرائيل أرادت أن تحتفظ بالمزايا الأمنية لوجود سيناء

فى حوزتها ، وهذه المزايا تتحقق بنزع سلاح سيناء ، وبعمق لا يقل عن ٢٠٠ كيلو مترا ، وهذه أكبر حماية لإسرائيل وضمان لعدم تعرضها لأى مفاجآت من الجبهة الجنوبية، خاصة مع ارتباط ذلك بوجود قوات متعددة الجنسية متمركزة فى سيناء قلما يشير الإعلام الرسمى فى مصر إلى تواجدها.

وتقسم المعاهدة المصرية - الإسرائيلية سيناء إلى ٣ مناطق:

المنطقة(أ) شرق قناة السويس ، ويسمح فيها بتواجد ما لا يزيد عن فرقة مشاة ميكانيكية واحدة.

المنطقة(ب) ويسمح فيها بتواجد أربع كتائب من قوات الحدود مزودة بأسلحة خفيفة للتعاون مع الشرطة المدنية.

المنطقة(ج) وهى الملاصقة لحدود فلسطين ولا يسمح فيها إلا بتواجد الشرطة المدنية المصرية فقط بالإضافة للقوات الدولية ، والخريطة كافية لتوضيح حجم المنطقتين (ب+ج) وهما حوالى ثلثى سيناء..

وبالمقابل ما هو الوضع فى إسرائيل :لا توجد أى مناطق منزوعة السلاح .. منطقة واحدة تسمى (د) عمقها ٣ كيلو مترات فقط يحدد فيها العدد الأقصى للقوات الإسرائيلية بأربع كتائب مشاة (ومن الطرائف أن إسرائيل طلبت ثلاث كتائب .. ولكن السادات قال لوايزمان بل أربع كتائب علشان خاطرك!!).

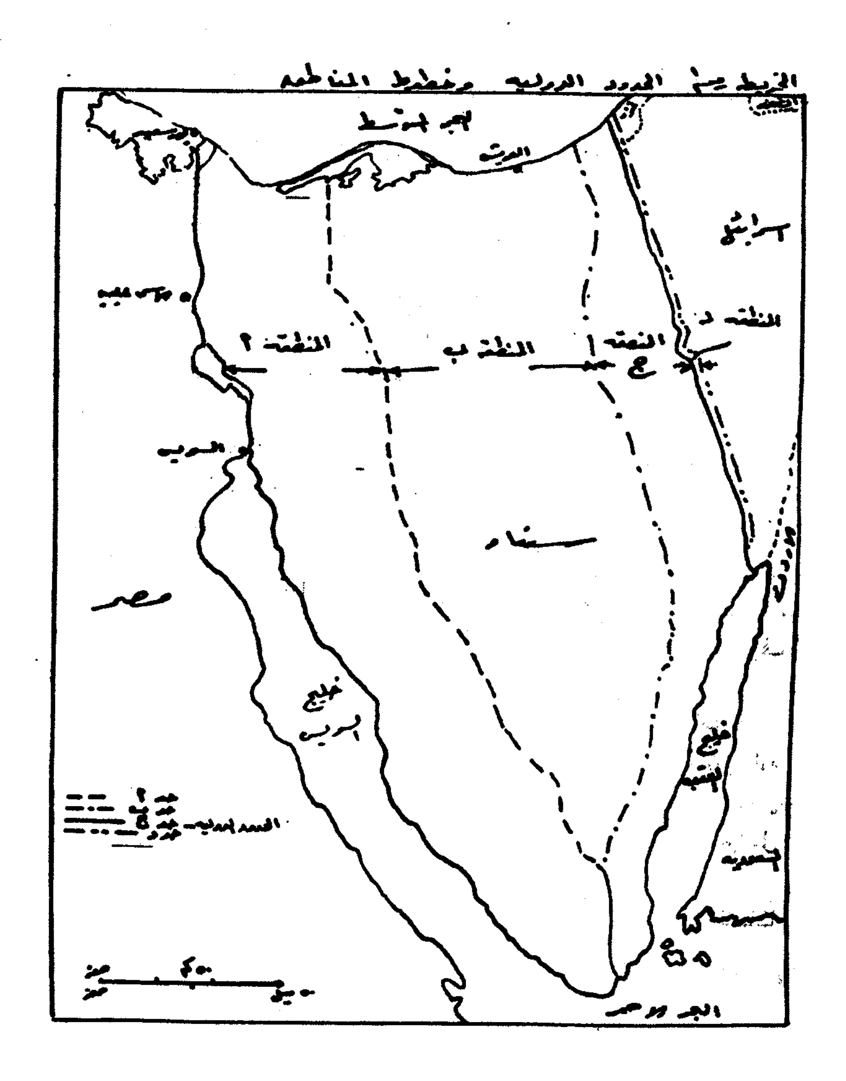
وبينما سمح للطيران الإسرائيلى بالتحليق فوق المنطقة (د) لم يسمح للطيران المصرى بالتحليق إلا فوق المنطقة (أ) فقط ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة،بينما سمح بهبوط طائرات النقل غير المسلحة المصرية فقط فى المنطقة (ب) ولا يحتفظ فيها بأكثر من ٨ طائرات!!

ولا يمكن إنشاء مطارات فى هذه المناطق إلا أن تكون مدنية..

بل امتد تقييد حركة الجيش المصرى إلى البحرية ، بحيث لا

يسمح بقطع البحرية المصرية بالتحرك إلا فى ساحل المنطقة (أ)، أما سواحل المنطقة (ب)و(ج) فتكون تابعة لشرطة السواحل خفيفة التسليح ..

وهذا التقييد البحرى والجوى ، لا يماثله أى تقييد على الجانب الإسرائيلى.


الخريطة تبين الحدود الدولية وخطوط المناطق
البحر المتوسط
العريش
إسرائيل
النقطة د
النقطة ج
النقطة ب
النقطة أ
السويس
سيناء
مصر
خليج السويس
خليج العقبة
البحر الأحمر

القوات الدولية:

وقوامها الأساسى قوات أمريكية ، وتتولى هذه القوات مراقبة وقف إطلاق النار،والالتزام بالتقييد العسكرى الوارد فى المعاهدة، ولا يتم سحب هذه القوات متعددة الجنسية إلا بموافقة مجلس الأمن بما فى ذلك موافقة الدول الخمس الدائمة العضوية.

وبالتالى تخلت مصر عن سيادتها بحيث لم يعد بإمكانها إخراج هذه القوات بإرادتها المنفردة .

ونلاحظ أن المعاهدة أشارت إلى القوات الدولية فى المناطق (أ،ب،ج) (أى سيناء)وأشارت إلى مراقبين دوليين فقط فى المنطقة(د) بإسرائيل ، وهذه القوات الدولية تقوم بعمليات مراقبة وتفتيش فى كل سيناء (أ،ب،ج) ومن حقها التحقيق الدورى مرتين فى الشهر على الأقل بالإضافة لإجراء تحقيق إضافى خلال ٤٨ ساعة بعد تلقى طلب بذلك من أى من الطرفين .

ولكى يكون هناك شاهد على قهر الإرادة المصرية مضت المعاهدة بصورة لا مثيل لها فى المعاهدات تنص على :

(يلتزم كل طرف بالمحافظة على النصب المقامة فى ذكرى جنود الطرف الآخر بحالة جيدة (!!) وهى النصب المقامة بواسطة إسرائيل فى سيناء ، والنصب التى ستقام بواسطة مصر فى إسرائيل !! كما سيسمح لكل طرف بالوصول إلى هذه النصب).

ماذا كان رأى المفاوض المصرى خلال المفاوضات فى هذه النتائج؟

* قال "الجمسى" وزير الدفاع المصرى خلال مباحثاته مع إسرائيل: انه سوف يعترض على تخفيض القوات المسلحة المصرية المتمركزة على طول قناة السويس ، كما أنه لن يوافق على تحديد حجم هذه القوات ، وعلى إسرائيل أن تكتفى بوعد مصر ألا تبقى قوات كبيرة هناك ، وأضاف قائلا:

(وكذلك فإننى أعارض نزع السلاح ، ذلك أن نزع السلاح يمثل انتهاكا لسيادة مصر) .

وأضاف اللواء الجريدلى عضو الوفد العسكرى المصرى:

(وهل توافقون أنتم على نزع سلاح إيلات أو بئر سبع ؟)

* وخلال المفاوضات مع إسرائيل اعترض السادات نفسه على وضع قوات الأمم المتحدة فى شبه جزيرة سيناء ، وقال أكثر من مرة أثناء النقاش:

(إن وجود هذه القوات سوف يكون انتهاكا للسيادة المصرية).

* وأعرب وايزمان عن أهمية نزع سلاح سيناء باعتباره أمرا نموذجيا بالنسبة لإسرائيل .

* خلال مباحثات كامب ديفيد عاد السادات وأكد أنه لن يسمح إطلاقا بسيطرة عسكرية إسرائيلية أو أمريكية أو أى جنسية أخرى على الأراضى المصرية .

وقال أيضا: (إن شعبى لن يوافق على تواجد أى نظام أجنبى على أرضه ، ولن يوافق حتى على تواجد قوات أمريكية فى سيناء).

وهكذا استغنيت عن تعبيراتى " المتطرفة " ولجأت لتعبيرات السادات والجمسى التى أقبلها تماما .. ولكن السادات تخلى فى النهاية عن هذه المواقف ..

مرة أخرى قد يقال أن المفاوض لا بد أن يصل إلى منتصف الطريق.. ويتنازل عن جزء من مواقفه الأولى ، ولكن من

الواضح أن مصر تراجعت عن كل مواقفها عدا استعادة سيناء بصورة إدارية ، وأُستخدمت ورقة المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء (والتى لا تضم إلا ألفى إسرائيلى) كورقة ضاغطة لآخر لحظة ، حتى يوافق السادات على كل مطالب إسرائيل الأخرى ، حتى فيما يتعلق بسيناء.

*****

كل هذا يتعلق بالسيادة المنقوصة لمصر على سيناء ، وليس هذا إلا أخف الأضرار..

أما أخطر الأضرار فتمثلت فى :

(١) عمليات التطبيع بالإكراه مع العدو الصهيونى.

(٢) الهيمنة الاقتصادية السياسية للولايات المتحدة على الأوضاع الداخلية فى مصر .

(٣) عزل مصر عن عالمها العربى الإسلامى.

(٤) وكنتيجة لكل ما سبق إضعاف مصر ، وتحولها إلى نوع من الرجل المريض ـ الشحاذ .. وبالتبعية أيضا إضعاف الأمة العربية وتعرضها للمزيد من التمزيق ، وللمزيد من الضربات الإسرائيلية الأمريكية .

ولنا وقفة عند النقطة الخاصة بالتطبيع لارتباطها المباشر باتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام .

التطبيع بالإكراه

قبل مبادرة السادات بزيارة القدس المحتلة كانت له أحاديث كثيرة عن السيادة وحقوق السيادة ، والفارق بين إنهاء حالة الحرب وإقامة العلاقات الدبلوماسية والتطبيع ، وان المعاهدة المستهدفة مع إسرائيل تخص إنهاء حالة الحرب ، أما العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية والثقافية فهذه من حقوق السيادة ، وهذا الكلام صحيح من وجهة نظر القانون الدولى ..

ولكن الرئيس السادات فقد أعصابه ، وتعجل ، وتصور أنه سيحصل على سيناء بسرعة ، وببعض الإغراءات ، فسار فى الشوط إلى نهايته..

وبدأ يقدم تنازلات مجانية متوالية .. فلدى زيارته للقدس وعد بيجن بنزع سلاح سيناء ، وفى لقاء ثان مع وايزمان وعده بالعلاقات الدبلوماسية والتطبيع الكامل ، كل ذلك والمفاوضات الجدية لم تبدأ بعد ، ثم جاءت معاهدة السلام

لتفرض العلاقات الدبلوماسيه مع إسرائيل ، وأصبح إغلاق السفارة الإسرائيلية انتهاكا للمعاهدة ، وهذا اختراق للسيادة المصرية (وأشرت في السابق لانتهاك السيادة في حق سحب القوات الدولية ، ومجرد وجود هذه القوات) وأصبحت العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل إجبارية لأنها جزء من المعاهدة ، كذلك الأمر فيما يتعلق بالعلاقات الثقافية ..

وإذا افترضنا جدلا أنه يمكن أن تنشأ صداقة بين عدوين سابقين فإننا لا يمكن أن نتصور أن تقوم صداقة حقيقية بالإكراه ، أو حب يستند للمسدس الذى يضعه الحبيب فى رأس حبيبه ، ولأنه تطبيع بالإكراه ، فلا يمكن أن يكون فى صالح مصر ..

أرادت إسرائيل أن تشعر بأنها لم تخسر شيئا من انسحابها من سيناء ، فعلى المستوى الأمنى حققت الاستفادة من سيناء كمنطقة عازلة أمنية ، وعلى المستوى الاقتصادى أصرت على حقها فى شراء كمية ثابتة من بترول سيناء ، وكأنه من حقها ، وكأنه لم يكفها ما قامت به من استنزاف لحقول البترول فى سيناء طوال فترة الاحتلال .

ورفض المفاوض المصرى هذا الفرض فى البداية حيث

تكون (العلاقة فى هذه الحالة علاقات غير طبيعية تحمل طبيعة الاذعان).

وان (السلام يعنى علاقة طبيعية بين دول نبذت الحرب فى علاقاتها المشتركة ، ولكنه لا يمكن تفسيره على أنه علاقات اقتصادية جبريا ينص عليها فى معاهدة سلام وإلا فلا معاهدة ولا سلام).

(على حد تعبير كمال حسن على فى مذكراته).

ومع ذلك تراجع المفاوض المصرى .. وأعلن السادات التزام مصر ببيع ٢ مليون طن من البترول سنويا لإسرائيل(أى ربع إجمالى احتياجات إسرائيل السنوية) ولم يكشف النقاب عن تفاصيل الاتفاق من حيث السعر والمدى الزمنى(*) .

ولكن الواقع أن مصر مازالت ملتزمة بهذا الاتفاق حتى الآن ، الأمر الذى جعل إسرائيل فى مقدمة مستوردى البترول

(*) جاء فى الملحق الثالث للمعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية (اتفق على أن هذه العلاقات الاقتصادية سوف تشمل مبيعات تجارية عادية من البترول من مصر إلى إسرائيل)، وهكذا أصبح تصدير البترول لإسرائيل جزءاً لا يتجزأ من المعاهدة!!

وفى يناير ١٩٨٠ أعلن مصدر وثيق الصلة برئاسة مجلس الوزراء الإسرائيلى أن مصر ستبيع لإسرائيل بترولا بسعر يقل عن السعر الذى تبيع به لسائر المشترين بمقدار خمسة دولارات للبرميل الواحد..وهو الأمر الذى أكده أيضاً إسحاق موداعى وزير الطاقة الإسرائيلى.

المصرى ، والطريف أن توريد البترول لإسرائيل بدأ حتى قبل إتمام الانسحاب الأولى من سيناء .

ولقد ضربت مثلا بالبترول باعتباره مجالا حيويا ونموذجا على كيفية التطبيع بالإكراه .. والعلاقات بين مصر وإسرائيل لم تعد على مصر إلا بالضرر الثقافى والأخلاقى والمادى الاقتصادى.. وهذا ما يحتاج إلى معالجة مستقلة ، ويكفى أن نشير إلى ما ورد فى جريدة "الشعب" طوال الأعوام الماضية عن الدور التخريبى لإسرائيل فى مجال الزراعة المصرية، ومجال السياحة ، وغيرهما مما لا يتسع له المجال فى هذه العجالة .

مـدريـد

نخلص مما سبق إلى القول بأن مسـيرة كامب ديفيد لم تكن رائعـة ، ولم تكن إنجـازا نفـاخـر به الأمم وندعـوها لتـحـذو حذونا..

إذن مـا هو الجـديد الذى يمكـن أن نراه تحت الشـمس ؟! ولماذا اتجه العرب جـميعا الآن إلى مدريد؟ أليس هذا مـصداقا للطريق (المصرى) أم أن فرص مدريد أفضل من فرص كامب ديفيد ؟!

كـان الهدف من اسـترجـاع الخبـرة المريرة لكامب ديفيـد ، إلقـاء الضوء علـى مؤتمر مـدريد .. لأن العـقلية الإسـرائيلـية الأمريكية لم تتغير.. كما لـم يتغير ميزان القوى الذى يمكن أن يجبـر الأعداء على تعـديل طريقة تفـكيرهم .. ولكن تغـيرت بعض الظروف فما هى؟! وما هو الجديد ؟

* الجديد هو اسـتعـادة الولايات المتحـدة لرغبتـها فى تحـقيق التسوية .

* الجديد هو قبول سوريا والأردن ولبنان ومنظمة التحرير المشاركة فى المؤتمر.

الموقف الأمريكى:

لم يتغير موقف الولايات المتحدة من حيث الأساس فما زالت إسرائيل هى الحليف الأساسى والثابت لها فى المنطقة ، وبما لا يقاس به أى نظام عربى تابع غير مضمون الثبات والاستمرار، ولكن تحركها لعقد مؤتمر مدريد ثم متابعة المباحثات فى واشنطن كان بهدف:

١. محاولة إعطاء مصداقية لما تقوله أمريكا عن الشرعية الدولية .

٢. احكام السيطرة على المنطقة بإخماد لهيب الانتفاضة الفلسطينية عن طريق وعود السلام .

٣. محاولة التوصل لإجراءات أمنية لصالح إسرائيل تدفعها للتخلى عن جزء من الأراضى المحتلة للأردن وسوريا .. وإنهاء ما يسمى أزمة الشرق الأوسط ، وليسود فى المنطقة بذلك عصر السلام الأمريكى الإسرائيلى.

٤. إقامة تحالف إقليمى إجبارى بين الحكومات العربية

وإسرائيل بقيادة إسرائيل ، فيما يسمى المباحثات متعددة الأطراف ، وبهذا تتحقق السيطرة (الأبدية) على أكثر المناطق إقلاقا فى العالم .. أو هكذا يتصورون .

*****

ويساعد الولايات المتحدة فى طموحها هذا سقوط المعسكر الشيوعى..وتحول الاتحاد السوفيتى إلى خيال مقاتة، يمكن اصطحابه فى أى مكان ولأى غرض تراه أمريكا ، فلا شك أن أكثر المواقف إثارة للسخرية اعتبار أن الاتحاد السوفيتى راعى المؤتمر فى مدريد على قدم المساواة مع أمريكا .. فى حين أن هناك شكوكا كبيرة فى مدى سلطات الرئيس جورباتشوف خارج دائرة موسكو ، بل وحتى فى داخلها ، وتوجد شكوك أعم حول وضع وحدود وخريطة الاتحاد السوفيتى نفسه الذى يمر بحالة سيولة وانصهار وإعادة تفكك وتشكل ، فى ظاهرة جيولوجية كيميائية لا مثيل لها فى التاريخ .. وحيث تحولت السلطة المركزية الصارمة إلى عدد لا نهائى من السلطات المتوزعة فى مختلف المناطق والجمهوريات وحالة شاملة من الفوضى لا يعرف سوى الله متى ستنتهى؟! وعلى أى شكل أو صورة ستنتهى؟!

الواقع إذن أن العالم يشهد حالة من سيطرة القطب الواحد، لأن كل الأقطاب الأخرى المرشحة ما زالت مؤجلة .. ولم تحضر بصورة ملموسة على المسرح الدولى ، وهى أوروبا الموحدة أو ألمانيا الموحدة أو اليابان أو الصين .

وإن كنت أرى أن هذه السيطرة الواحدية أمر عارض ومناف لسنن الطبيعة وحكمة التاريخ .. ولذلك فهى لن تستمر طويل ، وسيتضح سريعا وخلال سنوات أن الولايات المتحدة ستعجز وحدها عن حكم العالم بقبضة حديدية ، أو حتى بالسيطرة الاقتصادية ، فالولايات المتحدة تعانى من مشكلات اقتصادية شديدة، وليست بأى حال من الأحوال فى حالة صعود حضارى، بل بالأحرى هى فى حالة انحدار حضارى، ولكن الذى أعطى لها بريقا زائفا هو السقوط السهل لخصمها الشيوعى .. فعندما يسقط الخصم فى حلبة الملاكمة يعد المنافس هو الفائز بالتبعية .. وبغض النظر عن أسباب سقوط المنافس .

ومع هذا تعتقد الولايات المتحدة أنها امتلكت العالم وتتحرك على هذا الأساس ، ويشاركها فى ذلك كل الحكام

الضعفاء والخاضعين لها فى مختلف أنحاء العالم ، ويتصرفون على هذا الأساس .

وكذلك فان الولايات المتحدة تدرك مدى عمق ما ارتكبته فى حرب الخليج ضد الشعب العراقى بدون أى مسوغ من القانون الدولى أو قرارات مجلس الأمن ، بل وما زالت تواصله من استمرار الحصار الاقتصادى على شعب العراق رغم انتهاء مشكله الكويت ، بل وحتى نزع السلاح ذى التدمير الشامل فى العراق .. فهى الآن تحاول أن تقدم نفسها بصورة الذى يهدى السلام والأرض للعرب ويحل مشكلة فلسطين !!

إذن لا جديد حقيقة فى جوهر الموقف الأمريكى .. ولكن الجديد فى أسلوب التعامل مع الظروف المحيطة ، فعندما فشلت فى السابق مباحثات الحكم الذاتى بين مصر وإسرائيل لم تعر الولايات المتحدة ذلك انتباها ، أما الآن فهى تسعى لمجرد مواصلة المفاوضات لتستمر لمدة سنوات ، وإذا حققت شيئا فلا بد أن يكون ذلك فى إطار تحقيق المصالح الأمريكية والأهداف الأمريكية وعلى رأسها الرفض الجازم لإنشاء دولة فلسطينية .

ولكن ما هو الجديد الذى دفع الأطراف العربية للمشاركة؟!

أولا: لا بد أن نقول أن المشاركة العربية ، أو الموافقة السهلة على حضور مؤتمر مدريد جاءت من موقف الضعف ، فقد قاوم العرب هذا الموقف بدون مصر، وهى عدتهم وقوتهم الرئيسية فلم يجدوا جدوى ، ولا شك أن مصر أضعفت العرب بانفرادها بالحل فى كامب ديفيد وبتخليها عن خط المجابهة ، نقصد المجابهة الحضارية المتواصلة مع الكيان الصهيونى وعمقه فى الغرب، وليس مجرد المجابهة المسلحة .

وبالفعل يجب الاعتراف بريادة مصر الرسمية ، وبأنها كانت السابقة ولكن فى الانحدار، وفى التخلى عن كيان ومقدرات الأمة وتسليمها للأعداء ، وإذا كانت الأنظمة العربية الأخرى لم تستطع أن تقدم بديلا بتناحرها وافتقادها للجذور الشعبية ، فان هذا لا يمثل مفاجأة للقوى الشعبية الأصيلة التى عارضت مسيرة كامب ديفيد منذ البداية، فهذا الوضع الرسمى العربى برمته هو الذى قادنا للاستسلام ، ولا يمكن أن ينبثق البديل الحقيقى من داخله..

سوريا بعد أن رأت ما حدث للعراق ، وبعد أن فقدت

الاتحاد السوفيتي لم يعد بإمكانها أن ترفض طلب الولايات المتحدة .

ولبنان يخضع فى قراره للموقف السورى..

والأردن كان يريد إصلاح ما أفسدته أزمة الخليج من علاقاته مع الغرب ، وفى هذا الإطار ترى منظمة التحرير ألا تعمل خارج كل الوضع الرسمى العربى ، فهى ترى انه لا يمكنها أن تعمل فى الفراغ أو محلقة فى الفضاء ، ولا يمكن أن ننكر الفائدة الدعائية والدولية للإقرار بالطرف الفلسطينى من خلال المؤتمر ، الذى محته إسرائيل من على الخريطة ، فالفلسطينيون ليس لديهم ما يخسرونه اكثر مما خسروا، ولكن مع التأكيد أن تحرير فلسطين أو جزء منها لن يتم فى غرف المفاوضات، وأن استمرار الانتفاضة وتصاعدها فى الأرض المحتلة، وتصاعد الكفاح المسلح والجهاد بشتى صوره وألوانه هو الذى سيفرض أى تقدم فى انتزاع أى قدر من الحقوق الفلسطينية .. خاصة وأن المطروح مع أقصى التفاؤل ٦ سنوات لتحقيق الحل (سنة للتفاوض و٥ سنوات مرحلة انتقالية).

*****

ان المفاوض العربى يعتمد على الخلافات المحدودة بين إسرائيل والولايات المتحدة ، وان أقصى ما يتمناه هو الحصول على أراض ، وليس الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ، وهذا من الممكن تحقيقه ولكن الثمن سيكون غاليا .. لا شك أن هناك خلافا بين الولايات المتحدة وإسرائيل .. بمعنى عدم تطابق المصالح والرؤية .. لاختلاف المنظور الذى ينظر به كل منهما ، فلا شك أن إسرائيل تريد كل شئ لها ، وأمريكا تريد إسرائيل والعرب والمنطقة بأسرها لها .. وبالتالى فمن مصلحتها أن تجرى بعض التوفيقات .. إسرائيل متمسكة - بعد التخلى عن سيناء - إلى أبعد حد بالأراضى المحتلة فى الضفة وغزة والجولان ولبنان .. وأمريكا تسعى لتقديم ضمانات أمنية واقتصادية وتطبيعية ، بحيث تجعل إسرائيل أكثر مرونة ، فيما يتعلق بالأراضى المحتلة بمعنى أن تحقق أهدافها فى السيطرة بوسائل أخرى وبمعاونة أمريكا !!

ويجب أن نضع فى الحسبان أن العلاقات الأمريكية ـ الإسرائيلية فريدة بالفعل ولا مثيل لها فى العالم ، وأن إسرائيل تتحكم فى أمريكا ـ عن طريق اللوبى الصهيونى ـ كما تتحكم أمريكا فيها ، ولن يتحقق الفصل الواضح بين

مصالح أمريكا ومصالح الصهيونية العالمية وإسرائيل إلا إذا أصبحت إسرائيل خطرا على مصالح أمريكا ، وهذا لن يتحقق فى حالة الضعف العربى الراهنة .. طالما أن الحكام العرب يبتلعون كل مظاهر الإذلال الصهيونى .. ويقبلون أعتاب البيت الأبيض .. إذن لا تشعر الولايات المتحدة بأنها تخسر شيئا باستمرار انحيازها لإسرائيل .. وهذا ما يساهم بدوره فى تدعيم وزن وفاعلية اللوبى الصهيونى ، وهذا ما يدعم التوجه المشترك الذى يجمع بين إسرائيل وأمريكا فى السيطرة على هذه المنطقة الحيوية فى العالم، وضرب أى محاولة للوحدة العربية والإسلامية ، ووأد أى انبعاث لمجد الحضارة الإسلامية ..

هذه الأهداف الأمريكية معلنة وقد جاء فى رسالة التطمينات الأمريكية إلى حكومة إسرائيل بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٩١..

(إن التزاماتنا بأمن إسرائيل باقية على ما هى عليه ، كل من يحاول أن يدس بيننا ساعيا للمس بهذه الالتزامات لا ينجح فى فهم الروابط العميقة بين دولتينا وطبيعة التزاماتنا بأمن إسرائيل ، بما فى ذلك الالتزام بتثبيت تفوقها النوعى).

ولماذا التفوق النوعى؟! فى وقت يتحدثون فيه عن السلام؟!

وفى نفس الرسالة تعهد صريح بعدم تأييد إنشاء دولة فلسطينية مستقلة ، وتأكيد احترام الولايات المتحدة لتمسك إسرائيل بالجولان!! فتقول الرسالة والتى نشرتها صحيفة "معاريف" الإسرائيلية :

(لم تبلور الولايات المتحدة حتى الآن موقفا نهائيا من مسألة الحدود، وعندما ستضطر إلى عمل ذلك فإنها ستولى وزنا كبيرا لموقف إسرائيل بأن كل تسوية سلمية مع سوريا يجب أن تقوم على بقاء إسرائيل فى هضبة الجولان)!!

وينطلق الموقف الأمريكى من تحقيق أهداف إسرائيل بأساليب أخرى ، فبدلا من احتلال الجولان يتم نزع سلاحها ، ووضع قوات دولية فيها ، ويتم إجبار سوريا على التطبيع مع العدو الصهيونى، أو كما يقرر السيد بوش فى خطابه بمدريد (السلام الحقيقى .. معاهدات.. أمن .. علاقات دبلوماسية .. علاقات اقتصادية .. تجارة .. استثمارات .. تبادل ثقافى .. سياحة). ولكن إسرائيل ترى أن تبقى الأوراق فى أيديها لا فى أيدى الولايات المتحدة، وهذه نظرة استراتيجية صائبة لعل

حكامنا يتعلمون منها، فالمُخطط الإسرائيلي لا يفكر في اليوم والغد ، ولكن لعشرات السنين القادمة، وهو يعلم أن الولايات المتحدة أو نفوذها ليس باقيا أبد الدهر، وأن احتمالات الاختلاف الجذري في المستقبل قائمة إذا تغيرت الأوضاع العربية والدولية .

وقد ظهر واضحا في مباحثات السادات مع صديقه وايزمان عندما قال له الأخير (إن كل ما تقدمه من ضمانات لا يمكن أن نأخذ به إلا إذا ضمنت إسرائيل أن تعيش ١٢٠ عاما) وقد كانت هذه نظرة سليمة، فإسرائيل تريد ضمانات مادية في أيديها ، وقد كان ذلك بالفعل واغتيل السادات بعد هذا الحديث بأربع سنوات، واضطر الحاكم التالي إلى الالتزام بالمعاهدة مع إسرائيل وما بها من قيود..

نفس الشيء ينطبق على رؤية إسرائيل لاحتلالها لبنان والضفة وغزة ، وخوفها من مجرد وجود كيان إداري فلسطيني له ارتباط مع الأردن ، بل يجب أن يكون خاضعا للسيادة الإسرائيلية.

وإسرائيل تريد كل شئ .. الأرض والسلام والأمن .. (الأرض) لأن التوسع صفة جوهرية من صفات هذا الكيان..

(السلام والأمن) بمعنى ضمان عدم مقاومة مشروعاتها التوسعية ، وان الولايات المتحدة مراعاة (للملاءمة السياسية) تريد التخفيف من هذه الصورة الفظة، خاصة وانه لم يعد هناك ما يخيف الولايات المتحدة فى مجال الأنظمة العربية .. التى كانت متحالفة فى السابق مع الاتحاد السوفيتى، وقد ضربت العراق وما زالت تحاصره، وتعلم أن إيران بعيدة عن قلب الصراع إلا من خلال النشاط الشيعى فى لبنان (حزب الله) ولعل هذا هو سر اهتمام الولايات المتحدة بالتحرش بليبيا مؤخرا باعتبارها خارجة عن الصف الأمريكى فى دائرة الشرق الأوسط، ولا شك أن إيران والسودان الإسلاميتين على جدول الأعمال العدوانى الأمريكى فى الوقت الذى يرونه ملائما.

مسئولية العرب عن حل مشاكل إسرائيل:

لأن إسرائيل دولة قد نشأت بشكل شاذ فى المنطقة، فإن وضعها الاقتصادى والأمنى لا بد أن يكون شاذا .. فأى دولة فى العالم لا يمكن أن تستغنى عن علاقات تعاون مع الدول المجاورة، وإلا لتحولت إلى جزيرة منعزلة مليئة بالمشكلات .. ولم تعش إسرائيل طوال هذه السنوات إلا بحقن المساعدات

والتى هى أشبه ما تكون بعمليات نقل الدم المستمر من الولايات المتحدة والغرب.. حكومات وتجمعات يهودية وبروتستانتية .

والمطلوب الآن من العرب أن يتركوا هذا الكيان فلا يحاربوه، ويستغنوا عن فلسطين ويتركوها له لقمة سائغة لتنتهى الصراعات.

ولكن ليس هذا هو المطلوب فحسب وإلا لكان مجرد نوع من الهدنة والتقاط الأنفاس على أى حال، لا بل المطلوب أكثر من ذلك أن يبذل العرب والمسلمون كل مرتخص وغال للانفاق على هذا الكيان ورعايته .. وضمان استمرار ازدهاره، وتسيده عليهم، كما يعمل العبيد عند السادة لتدعيم سيادتهم راضين بالفتات الذى يمكن أن يجود به السادة .

وهذا هو الوصف الحقيقى لما يُسمى المفاوضات المتعددة الأطراف، والتى قال بوش وشامير انها أهم مرحلة فى المفاوضات، وانها السلام الحقيقى، وانها هى التى قد تساعد على إعادة النظر فى موضوع الأراضى المحتلة .. وتبحث هذه المفاوضات التطبيع وإنهاء المقاطعة، ونزع السلاح والمياه والبيئة.. إلخ.

ولم تكشف أمريكا وإسرائيل أوراقهما فى هذا المجال بالتفصيل، ويكفى أن ندرك أن هذا يتم تحت التعهد الأمريكى المعلن للحفاظ على التفوق النوعى لإسرائيل.

ولكن الدراسات العديدة المنشورة تكشف النوايا الإسرائيلية فى هذا المجال .. وسنتوقف فحسب عند مشكلة المياه كمثال للسلام الإسرائيلى والأمريكى المقترح.

فقد ثبت أن تمسك إسرائيل بجنوب لبنان والجولان والضفة مرتبط فى أحد جوانبه المهمة بتوفير موارد المياه التى بدأت إسرائيل تعانى من العجز منها حتى بدون أن تنسحب من هذه الأراضى.

فى جنوب لبنان عدة أنهار فى مقدمتها الليطانى والزهرانى، وقد بدأت إسرائيل فى مد الأنابيب واستغلال مياه لبنان ..

ومن أسباب تمسك إسرائيل بالجولان هو ثراؤها بمصادر المياه وأهمها نهر الأردن وبحيرة طبرية ونهر بانياس ونهر اليرموك ونهر الزاكية ونهر المسعدية بالإضافة إلى ينابيع وعيون كثيرة موزعة فى كل وديان الجولان وقراه، ويصف الإسرائيليون الجولان بأنها برج مياه إسرائيل، فالهضبة تحتوى

على مصادر مياه رئيسية فى المنطقة، ومن يسيطر على مرتفعات الجولان يستطيع منع أى جهة من محاولة تحويل مصادر المياه، كذلك يتضح أن الضفة الغربية ومياهها الجوفية أصبحت مصدر ٣٥٪ من احتياجات إسرائيل المائية .

ان التوسع الصهيونى مستمر .. وتهجير اليهود مستمر.. والمطلوب منا أن نأخذ اللقمة من أفواه أطفالنا ونعطيها لهؤلاء المهجرين اليهود!! وكأن لسان حال بوش وشامير يقول : بإمكان إسرائيل أن تنسحب من بعض الأراضى المحتلة فى لبنان وسوريا والضفة، بشرط أن تظل تحصل على كل احتياجاتها من المياه .. كما فعلت بالنسبة لبترول سيناء!! بل هذا لا يكفيها وهى تبحث عن المياه من مصر وتركيا !!

وقد اتضح حجم المشكلة التى تواجه إسرائيل فى مجال المياه خلال المؤتمر العلمى الذى عقده مركز الدراسات اللبنانية فى اكسفورد بلندن فى أكتوبر عام ١٩٩١ وجاء فيه :

* ان إسرائيل تأخذ ثلث حاجتها من المياه من الضفة الغربية؛ والثلث الثانى من مياه بحيرة طبرية التى تغذيها أنهار بانياس والدان والحاصبانى النابعة فى سوريا ولبنان، أما الثلث الأخير فموجود داخل إسرائيل نفسها (أى فلسطين المحتلة

عـام ١٩٤٨) وتسـتغل إسـرائيل ٨٣٪ من الميـاه الموجـودة فى الضفة الغربية لتأمين حاجات المستوطنين اليهود هناك، وتضخ مياه الـضفة أيضا إلى إسـرائيل بينما لا يذهب من مياه الـضفة لاستعمالات السكان العرب الأصليين سوى ١٧٪ فقط ! مع العلم أن عـدد المسـتـوطنيـن فى الضـفـة هو نحـو ١٠٠ ألف يهودى فى مقابل اكثر من مليون وسبعمائة ألف عربى .

* ويؤكد بعض ضـباط قوات الأمم المتـحدة فى جنوب لبنان أن إسـرائيل تضخ ميـاه الليطانى عـبـر أنابيب إلى شمـال إسرائيل .

* كمـا تأكد أن إسرائيل تسـحب خزين الميـاه الجوفيـة الغنية لنهـرى الحـاصبـانى والدان بواسطة مـضـخـات وأنابيب أحاطتهـا بأسوار على جزء من نهر الحـاصبانى فى جنوب لبنان .

* وكـانت إسرائيـل قد أعلنت فى ١١ مـايو ١٩٩١ أنهـا لن تنسـحب من لبنان من دون تعـهـدات بالحـصـول على (حـصتـهـا) من ميـاه نهـر الليطانى رغم أن نهـر الليطانى موجود بأكمله داخل حدود لبنان!!

* وكـانت إسرائيل لدى اقـتحـامـها للعـاصمـة بيروت عـام

١٩٨٢ قد استولت على بيانات وإحصاءات هيدرولوكية (خاصة بالمياه) وتقوم الآن بمنع المزارعين اللبنانيين فى منطقة (الحزام الأمنى) من سحب مياه الآبار، وتغلق آبارا أخرى تماما كما تفعل فى الضفة الغربية (المستقبل العربى - العدد ١٥٤).

وتقول تقارير الأمم المتحدة أن المياه ليست فائضة عند أى طرف، وأن لبنان سيكتفى بالكاد من مياهه العذبة عام ٢٠٠٠، وكذلك الحال بالنسبة للجميع، بما فى ذلك مصر .. ولكن يبدو أن إسرائيل تريد أن تكفى حاجتها أولاً، وتستكمل مشروعها الاستيطانى أولاً، ثم تترك لنا البقية، وبهذه الرؤية وعلى هذا المنوال يمكن تصور فى أى اتجاه ستسير المفاوضات المتعددة الأطراف، التى يقال أنها أساس السلام، فالهدف الأمريكى الإسرائيلى هو إقامة سوق مشتركة للشرق الأوسط من الناحية الاقتصادية .. تكون إسرائيل هى القوة المهيمنة عليه بالتعاون مع السيد الأكبر الأمريكى.. وان هذا سيحدث فى حالة (نجاح) مؤتمر مدريد .. وأى (نجاح) ؟!!

ولأن الولايات المتحدة هى الراعى الحقيقى والوحيد للمؤتمر، فهى التى وضعت له معيار النجاح من الآن، كما ورد فى خطاب بوش :

(السلام الحقيقي .. معاهدات .. أمن .. علاقات دبلوماسية.. علاقات اقتصادية .. تجارة .. استثمارات .. تبادل ثقافي .. سياحة) .

ويضيف بوش ان :

التقدم في القضايا المتعددة الجوانب (كالمياه) يمكن أن يساعد في إنشاء مناخ لحل النزاعات الثنائية (الانسحاب من الأراضي) وكل ذلك بالإضافة إلى ما جاء في التطمين الأمريكي لإسرائيل : (ضمان التفوق النوعي لإسرائيل).

*****

ونرجو أن يكون العرض السابق قد أوضح المساحة التي يدور فيها الحوار أو النزاع العائلي بين إسرائيل وأمريكا، وإذا كانت أمريكا هي الراعية الوحيدة الحقيقية للمؤتمر فلتستبشر إسرائيل بطول سلامة !! فانه لم يعد هناك حاجة للبرهنة على مدى عداء أمريكا وحقدها على أي تقدم يجري في بلاد العرب والمسلمين .. ويكفي موقفها من إيران، ثم القوة العسكرية العراقية، ثم ليبيا، ومصر في البداية وفي النهاية والمحرومة من حق امتلاك مفاعل نووي للأغراض السلمية (الكهرباء) والمحرومة من امتلاك أي أسباب للقوة الاقتصادية والعسكرية تجعلها مستقلة عن الإرادة الأمريكية .

خط الجهاد وخط الاستسلام

يشيع الانهزاميون منذ مبادرة السادات حتى الآن تساؤلا يريدون منه أن يبدو خط الاستسلام منطقياً، وهو (وما البديل)؟!

وبالفعل ياله من سؤال محرج .. وصعب .. فلا يوجد بديل فورى كالعلاج السحرى بطبيعة الحال ، بل إن خط الاستسلام نفسه استغرق وقتا ليس بالقليل.

فبعد أن يضعف الحكام العرب أوضاع بلادهم يقولون وما البديل للاستسلام للولايات المتحدة وإسرائيل؟!

إن إسرائيل لم توجد لتبقى ، وان وعد القرآن صريح فى هزيمة بنى إسرائيل على أيدى العباد المؤمنين .

ونحن نرفض الاعتداء على القرآن الكريم .. ونحن نؤمن بما جاء فى كتاب الله فى حق اليهود ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف (الآية ١٦٧)].

وحديث القرآن عن الذلة والمسكنة التى ضربت على بنى إسرائيل واضح ومتكرر ، وأن علو بنى إسرائيل يكون فسادا فى الأرض يعقبه هزيمة نكراء على أيدى العباد المؤمنين (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار) .

وفلسطين جزء من الأمة الإسلامية ، ونزول الكفار بها واحتلالها يجعل الجهاد فرض عين على كل المسلمين .. وهذا ما أجمع عليه العلماء والفقهاء، وتتضاعف المسئولية عندما تكون فلسطين هى الأرض المباركة بلفظ القرآن .. تحتوى رفات الأنبياء والمسجد الأقصى.

والمفاوضات إذا جرت مع أعداء محتلين لا يمكن أن تكون إلا هدنة مؤقتة تتطلبها ظروف الإعداد والاستعداد ، وليس تحت شعار السلام الدائم المزعوم.

ان خط الجهاد (فى مقابل خط الاستسلام) لا يعنى ضرب النيران وفتحها بصورة مستمرة على العدو .. الجهاد يشتمل ليس على القتال المباشر فحسب، وإنما أيضا على جهاد النفس وإعداد كل عناصر القوة، واعتماد الأمة الإسلامية على نفسها فى بناء أسباب هذه القوة التى تقوم على استقلال سياسى واقتصادى حقيقى، وليس من خلال تبعية مكشوفة لأعداء

الأمة الذين يملون علينا مختلف سياساتنا الداخلية من خلال ما يسمى صندوق النقد الدولى.

الجهاد ..عمل شاق ومتواصل فى مختلف المجالات لإعلاء كلمة الله، وان عدم القدرة على تحرير الأرض المحتلة فى المدى المنظور لا يعنى ضرورة الارتماء فى أحضان الأعداء ، وان الحفاظ على السيادة فى إطار نهضة حضارية وحدوية عربية وإسلامية هو الكفيل بتحقيق الانتصار فى النهاية ..

أما خط الاستسلام فهو قمين بدفعنا إلى الاستسلام أمام كافة مشكلاتنا الداخلية ، وليس أمام إسرائيل فحسب ، وهذا ما حدث بالفعل .. حيث تتفاقم كل يوم مشكلات مصر الداخلية على مختلف الأصعدة .. رغم انتهاء الحرب - التى علقوا على شماعتها كل النواقص - منذ تسعة عشر عاما.

ان الموقف الإسلامى الشرعى من الوجود الصهيونى لا يحتاج منا لكثير جهد للبرهنة عليه فى ظل إجماع فتاوى علماء المسلمين، والمنشورة فى مطبوعات عديدة ومتداولة فى أيدى من يرغب فى الاطلاع عليها .

ولكن تجدر الإشارة إلى أن لجنة الفتوى بالأزهر اجتمعت بعد زيارة السادات للقدس فى ٢٦ نوفمبر ١٩٧٧ لتقول: (ان

اللجنة تفيد أن الصلح مع إسرائيل كما يريده الداعون إليه لا يجوز شرعا لما فيه من إضرار وإقرار الغاصب على الاستمرار على غصبه والاعتراف بأحقية يده على اغتصابه وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه).

ومن الطريف أيضا أن نشير إلى كتاب د. محمد سيد طنطاوى (بنو إسرائيل فى القرآن والسنة) وهو المفتى الحالى ، وهذا الكتاب أفتى به الدكتور طنطاوى فاستفتى فيه قلبه وربه ، يقول مفتى الديار المصرية فى كتابه هذا: (ثم انضمت إلى بريطانيا دول الكفر وخصوصا أمريكا التى بذلت جهودا جبارة لإنشاء دولة لليهود فى فلسطين) ويضيف د.طنطاوى:

كيف نعيد فلسطين إسلامية عربية ؟! فنقول:

١ـ يجب علينا أن نعلم أن حربا فاصلة ستقع بين المسلمين واليهود وأن النصر فيها سيكون للمسلمين ، ماداموا معتصمين بدينهم ، ومنفذين لتعاليم قرآنهم ، وعاملين بسنة نبيهم ، فقد أخرج البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر

فيقول: يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله).

وفى حديث آخر للشيخين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).

فهذان الحديثان الصحيحان فيهما إخبار للمسلمين بأن قتالا عظيما سيقع بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة ، وأن النصر سيكون للمسلمين ، متى استجابوا للأوامر التى أمرهم الله بها، وأن الله تعالى سيكرمهم بأن يخبر الحجر أو الشجر المسلم بأن يهوديا وراءهما فعليه أن يقتله.

٢ـ يجب علينا أن نوقن بأن الأيام دول ، وأن ما أصابنا بفلسطين من الممكن تداركه ، متى تحلينا بالإيمان الصادق وبالعزم القوى ، وبالتصميم على استعادة أرضنا المقدسة ، وباتخاذ الوسائل الكفيلة بذلك .

لقد سقطت بلادنا المقدسة فى أيدى المعتدين أكثر من مرة،

ثم استطعنا بفضل الله ومعونته أن نستردها منهم، بل إن عشرات الأمم كانت رازحة تحت سلطان الاستعمار عقب انتهاء الحرب العالمية الأخيرة ثم استطاعت بعد ذلك أن تنال حريتها وكرامتها.

إن نكبة فلسطين قد نبهت المسلمين إلى الأخطار المحيطة بهم، وعلمتهم دروسا كانوا غافلين عنها، وأطلعتهم على ما أضمرت لهم الصهيونية العالمية ودول الكفر من أحقاد وشرور، ودفعتهم إلى العمل المثمر من أجل المحافظة على كيانهم وكراماتهم بعد أن ظلوا سنين طويلة يعيشون عيشة الذل والهوان .

٣ـ يجب على الأمة الإسلامية والعربية أن توحد قيادة المعركة وأن تسلمها لأيد أمينة مخلصة، وأن تحوطها بالتأييد إذا أحسنت واستقامت، وبالتوجيه والإصلاح والتقويم إذا أخطأت وضلت، وأن تنأى بها عن الخلافات والمنازعات التى قد تحدث بين الزعماء والملوك والرؤساء. أريد أن أقول: إن إنقاذ فلسطين من السرطان الصهيونى يحتاج إلى جيش موحد القيادة محدد الهدف معدا إعدادا كاملا قويا من جميع النواحى، مؤمنا بقدسية المعركة التى يخوضها،

بعيدا عن التأثر بخلافات السياسيين الذين بيدهم مقاليد الحكم فى البلاد العربية.. وإن لنا فيما حدث فى معركة اليرموك وغيرها من المعارك الإسلامية لعبرا وعظات، ففى هذه المعركة وجد خالد بن الوليد- رضى الله عنه- قوادها يقاتلون الروم متساندين كل أمير على جيش، فجمع خالد هؤلاء القواد وقال لهم :

(إن هذا اليوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى فأخلصوا لله جهادكم وتوجهوا إلى الله تعالى بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده فلا تقاتلوا قوما على نظم وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغى، قالوا فما الرأى ؟ قال: إن الذى أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم ، وأنفع للمشركين من أموالهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فهلموا فلنتعاود الإمارة فليكن علينا بعضنا اليوم وبعضنا غدا والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم ودعونى اليوم عليكم فقالوا: نعم فأمروه وهم يرون أنها كخرجاتهم ـ أى كغزواتهم الأولى ـ فكان الفتح على يد خالد يومئذ).

٤ـ يجب أن تبذل الأمة العربية والإسلامية قصارى جهدها فى التذكير بقضية فلسطين، وأن تقوم وسائل الإعلام

المختلفة فى كل دولة بالدعاية الواسعة لها، وأن يُدرس تاريخها فى المدارس والمعاهد والجامعات، وأن توزع خريطتها وصور أماكنها المقدسة فى كل مكان ، وبذلك تبقى نكبة فلسطين حية فى القلوب والمشاعر.

إن هذا الجيل الذى عاصر مأساة فلسطين سوف ينقرض وستأتى بعده أجيال أخرى إذا لم نذكرها بهذه المأساة ونربطها بقلوبهم دينياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً فإنها ستصبح نسياً منسياً، ولن يمر وقت طويل حتى تختفى مأساة فلسطين من قلوبهم كما اختفت مأساة الأندلس بمرور الأيام وتعاقب السنين .

إن فلسطين هى من بلاد المسلمين المقدسة، ففيها المسجد الأقصى الذى كان الإسراء إليه، والذى هو أولى القبلتين ، والذى هو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها ، ففى الحديث الشريف (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)، وفى فلسطين كثير من المعابد والمقدسات، ففيها قبور بعض الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وفيها قبور عدد كبير من الصحابة كأبى عبيدة بن الجراح وعبادة بن

الصامت ، والفضل بن العباس وشداد بن أوس، وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ولا شك أن بقعة من أرض المسلمين فيها كل هذه المقدسات جديرة بأن تكرر مأساتها على الأسماع فى كل زمان ومكان.

٥- يجب أن تقف الأمة العربية والإسلامية من الدول التى ناصرت الصهيونية موقفا قويا حاسما، وأن تستعمل أسلحتها المتنوعة فى صرف هذه الدول عن مناصرتها الباطلة لليهود، ومن أقوى الأسلحة سلاح البترول الذى يوجد فى بلادنا بكميات هائلة، والذى لو أحسنا استغلاله واستعماله لكفت دول الكفر عن تأييدها للصهيونية الباغية، ولن يأتى هذا السلاح وغيره بالثمار المرجوة منه إلا إذا وحد العرب كلمتهم ووقفوا صفا واحدا أمام مؤامرات الاستعمار واليهودية العالمية .

٦- يجب أن تعمل الدول العربية والإسلامية على تقوية الفدائيين الفلسطينيين من كل النواحى ، وأن تختارهم من العناصر المأمونة والمؤمنة بربها وبدينها وبوطنها .. وأن تعطيهم من الإمكانيات ما يجعلهم يستطيعون أن يزلزلوا كيان الصهيونيين، عن طريق (حرب العصابات) لأن هذه

الحرب من شأنها أن تهدد أمن إسرائيل واستقرارها واقتصادها وجميع مرافقها، وتكون هذه الحرب كمقدمة للمعركة الفاصلة التى يجب على الأمة الإسلامية أن تخوضها ضد إسرائيل حتى تطهر الأرض المقدسة من اليهود .

ولقد اتبعت عدة دول طريقة (حرب العصابات) ضد المستعمرين فانتصرت عليهم فى النهاية ، واستطاعت أن تنال حريتها رغم أنوفهم، وخير مثال لذلك (الجزائر) دولة المليون شهيد، فانها قامت بهذه الحرب ضد فرنسا حتى أجبرتها على الرحيل عن بلادها.

٧- يجب أن نخوض معركة فلسطين المقبلة على أساس من الجهاد الدينى ، وليس على أساس النعرة الوطنية وحدها ، وذلك لأن فلسطين بلد إسلامى مقدس كما قلنا سابقا، وهى ملك لجميع المسلمين، وواجب الذود عنها فرض على كل مسلم على وجه الأرض .

واليهود قد استغلوا الناحية الدينية على أوسع نطاق لخدمة باطلهم فى فلسطين بحيث افهموا دول الغرب- وخصوصا إنجلترا- أن فلسطين هى أرض ميعادهم، وان أرضها لهم

وحدهم بنص التوراة، بينما العرب المسلمون اسقطوا هذا الجانب الدينى الهام من حسابهم .. فخاضوا معركة فلسطين باسم النعرات الوطنية والقومية، وسخر بعض كتابهم بالنواحى الدينية فكان مصيرهم الفشل .

ونحن لا ننكر أثر القومية المادية فى النجاح، ولكن الذى ننكره أشد الإنكار هو الاعتماد عليها وحدها دون أن يقام للجانب الروحى أو الخلقى أى حساب .

إن الذين لا يهتمون بالناحية الدينية والخلقية لن تكون العاقبة لهم ولو ملكوا أقوى قوة فى الأرض، ولقد اعترف(الميثاق) بأهمية الطاقات الروحية والدينية ومما جاء فيه بهذا الشأن :

(على أنه يتعين علينا دائما أن نذكر أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مُثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى، قادرة على صنع المعجزات، ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة، كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات، وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات، وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم

التقـدم ضرورية ولازمـة، فإن الحـوافز الروحيـة والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التـقدم أنبل المثل العليا، وأشرف الغايات أو المقاصد).

٨ـ يجب على الأمة العربية والإسلامية (قبل ذلك وبعد ذلك) إذا أرادت أن تعيـد فـلسطين أن تعـود هى إلى تـعـاليم الإسلام فـتطبقـها على نفـسها تـطبيقـاً كامـلاً وأن تحارب الرذائل فيها، وأن تقيم حياتها وسلوكها ونظمها ومعاملتها على وفق تعـاليم الديـن الحنيف، وأن تعـد العـدة الكاملة لقتال عدو الله وعدوها، إذا فعلت ذلك فان النصر سيكون حليفـها، و الآيات الكريمة الـتى تشهد بذلك أكـثر من أن تحصى، منها قـوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد(الآية ٧)]. ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج (الآيـة ٤٠)]. ومنها قوله تـعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر (الآية ٥١)].

ومن وصايا سـيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلـم لأمته فى شخص ابن عـباس رضى الله عنهمـا قوله: (احــفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك..) .

وقد وصى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سعد بن أبى وقاص فقال له :

أما بعد : فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم فى سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس (فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً) واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم).

انتهى كلام د . الطنطاوى.

المهادنة والموالاة

هناك فرق جوهرى بين المهادنة المشروعة بين الأمة الإسلامية وأعدائها وبين موالاة الأعداء، وحكامنا سقطوا فى الثانية، لأن المهادنة تعنى الهدنة واستمرار إعداد القوة .. أما الموالاة فهى التحالف والصداقة مع أعداء الدين، وهذا محرم بنصوص القرآن..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة (الآية١)] .

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة (الآية٩)].

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)﴾.

[المائدة (من الآية ٨٠ إلى الآية ٨١)].

وهكذا ترى عشرات الآيات على نحو ما فصلناه فى دراسة (أزمة الخليج بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان).

ودراسة السيرة النبوية توضح أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن يجاهد بالسيف طوال الوقت، بل كثيراً ما امتنع عن استخدام القوة عن ضعف أو عن تريث أو إعداد واستعداد حسب مراحل الدعوة، ولكن الفرق جوهرى بين المهادنة وبين التحالف والموالاة التى تخرج الدعوة عن هدفها الأصلى، وليصبح مجرد وجود المسلمين أحياء على ظهر الأرض فى الحياة الدنيا هو الهدف .. وهم بذلك يخرجون عن روح رسالة الإسلام، ويتكالبون على الدنيا .

وهذا هو "السلام" الزائف الذى يروجون له منذ اتفاقيات كامب ديفيد، تحت شعار الصداقة الأبدية مع أعداء الله .. اليهود والأمريكان، والذى لم يؤد حقيقة إلا إلى أن نخسر الدنيا والدين معا!! فلا نحن أصبحنا ذوى شأن فى الدنيا، رغم اننا بعنا آخرتنا بدنيانا، ولا نحن ضمنا الآخرة، وبالفعل فأولئك هم الأخسرون أعمالاً.

ان أمريكا وإسرائيل فى حلف واحد .. حرب على الإسلام وعلى الشريعة الإسلامية، هم فى حرب متواصلة ضد القرآن،

فكيف تكون الصداقة الأبدية معهم بدون التفريط فى عقيدتنا؟!

هذا هو جوهر الصراع، أما الأراضى فتروح وتجئ حسب أحوال القوة والضعف العسكرية، وأحسب أننا سنظل فى نزاع إلى يوم الدين، فالصراع بين عالم الإيمان وعالم الكفر ممتد إلى يوم الدين، وهو الخط الواحد الموصول الذى يجمع كل آيات القرآن الكريم .

ان كتاب الله ليس كتاب تاريخ كما يحاول أن يروج المتخرصون فأحكامه باقية، ونوره يضئ الطريق لمن يريد أن يبصر، وان كل ما تشهده أمتنا من تحديات ومصاعب واعتداءات الآن يمكن أن ترى وصفها فى القرآن العظيم، بل والأهم من ذلك تجد الأمة فيه سبيل الخلاص والخروج من مأزقها.

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. [الزمر (الآية ٣٦)] .

المهادنة:

وقد أشار فقهاؤنا بما لهم من عقليات سياسية لهذه

الاحتمالات أى احتمالات المهادنة ووصفوها بدقة.. وعزلوها.. وميزوها عن حالات الموالاة.. والارتماء فى أحضان الأعداء.

ويقول الشافعى فى هذا المجال : ان قتال المشركين فرض على المسلمين، ولكن لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لهذا فرض الله على المسلمين قتال المشركين وأن يهادنوهم، وقد كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتال كثير من أهل الأوثان بلا مهادنة (أى بدون هدنة متفق عليها) مثل بنى تميم وربيعة وأسد وطئ، وهادن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا، ووادع حين قدم المدينة يهوداً، وقتال المشركين فرض إذا قوى عليهم وتركه واسع إذا كان بالمسلمين عنهم أو عن بعضهم ضعف أو فى تركهم للمسلمين نظر للمهادنة وغير المهادنة، وإذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين أو طائفة منهم لبُعد دارهم أو كثرة عددهم أو خلة بالمسلمين أو بمن يليهم منهم جاز لهم الكف عنهم ومهادنتهم .

ويتابع الإمام الشافعى رحمه الله تعالى يقول عن صلح الحديبية:

(فهادنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مدة ولم

يهادنهم إلى الأبد، لأن قتالهم حتى يسلموا فرض إذا قوى عليهم وكانت الهدنة بينه وبينهم عشر سنين) وبعد الإشارة إلى فوائد هذا الصلح من زاوية دخول الناس في دين الله أفواجاً ..يضيف.

(أحب للإمام إذا نزلت بالمسلمين نازلة - وأرجو أن لا ينزلها الله عز وجل بهم إن شاء الله تعالى - مهادنة يكون النظر لهم فيها (أي مراعاة المصلحة) ولا يهادن إلا إلى مدة ، ولا يجاوز بالمدة مدة أهل الحديبية (١٠ سنوات) كانت النازلة ما كانت فان كانت بالمسلمين قوة قاتلوا المشركين بعد انقضاء المدة، فإن لم يقو الإمام فلا بأس أن يجدد مدة مثلها أو دونها ولا يجاوزها من قبل أن القوة للمسلمين والضعف لعدوهم قد يحدث في أقل منها وإن هادنهم إلى اكثر منها فمنتقضة لأن أصل الفرض قتال المشركين حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية، فإن الله عز وجل أذن بالهدنة فقال إلا الذين عاهدتم من المشركين .

وليس للإمام أن يهادن القوم من المشركين على النظر (أي بمراعاة المصلحة) إلى غير مدة هدنة مطلقة فإن الهدنة المطلقة إلى الأبد لا تجوز، ولكن يهادنهم على أن الخيار إليه حتى إن

شـاء أن ينبذ إليـهم فان رأى نظرا للـمسلمـين أن ينبذ فـعل ، (وأصل ذلك) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة إلا أهل حصن واحد فقد افتـتحه بالصلح فصالحوه على أن يقـرهم ما أقـرهم الله عـز وجل ويعملون لـه وللمسلمـين بالشطر من الثـمر . وان قيل هل في هـذا نظر للمسلمـين قيل نعم، كانت خيبر وسط مشركـين وكانت يهود أهلها محالفين للمشركين وأقوياء على منعـها منهم ولم يكن بالمسلمين كثرة فينزلهـا منهم من يمنعها، فلمـا كثر المسلمون أمـر رسول الله صلى الله عليـه وسلم بإجلاء اليهـود عن الحجاز فـثبت ذلك عند عمـر فأجلاهم، فإذا أراد الإمـام أن يهادنهم إلى غيـر مدة هادنهم على أنه إذا بدا لـه نقض الهدنـة فذلك إليـه وعليـه أن يلحقهم بمأمنهم).

تعمدنا الإطالة من اقتباس كـلام الإمام الشافعى رحمه الله تعالى للإشارة إلى عظمة فقهنا.. واهتمـامه بالأمور السياسية، ولمعالجته لاحتمالات الصراع بين الإسلام وأعدائه بين لحظات القـوة والضعـف، ولا شك أن الإمام الشـافـعى لم يكن يدور بخلده أن يصل حال المسلمين إلى ما وصل عليه، ولا شك أن الفقـه المعاصر مطالب بأن يـعالج مشكلات العـالم الإسلامى

السياسية، وبالأخص فيما يتعلق بالصراع مع الأعداء، ولكننى أردت أن أشير إلى أن ما يواجهنا ليس من قبيل الأمور التى يعجز عنها الفقه الذى يلتزم بأحكام القرآن، فالمهادنة مشروعة بالقرآن والسنة .. وهى مؤقتة، وتتطلب أن يتحول المسلمون خلالها من حالة الضعف إلى حالة القوة (مع مراعاة أن الأمور نسبية فى كل الأحوال) ولذلك فى كتاب الله الذى أحكمت آياته جاءت آية ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال (الآية ٦١)]. جاءت مباشرة عقب آية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ..﴾ إلى آخر الآية، ولكن كثيراً ما يتلاعب وعاظ السلاطين فيقولون الآية ٦١ دون ربطها بالآية رقم٦٠ من سورة الأنفال !!

وان المهادنة أو الهدنة أبعد ما تكون عن حالات التطبيع والصداقة والتعاون والأحلاف الاستراتيجية والأسواق المشتركة مع إسرائيل، بل وأكثر من ذلك، تسليم الأمريكان مفاتيح البلاد الإسلامية.. بدءاً من البترول إلى الجيوش إلى الاقتصاد .. إلى القرار السياسى، بل وأخيراً مناهج التعليم نفسها ! ! .

فهذه هى الموالاة التى نهى عنها الله سبحانه وتعالى، ومن

يريد أن يخلط بين الحالتين فـأولئك هم المنافقون.. لأن الفارق بينهما واضـح كفلق الصبح، بالتأكيـد فإن أغلب حكام الدول الإسلامية جعلوا المهمة أكثـر صعوبة بتخليهم عن مشروع بناء قـوة الأمــة، وان الفــجـوة بيننـا وبين الأعـداء تـزيد كل يوم بسببهم، وان استعادة الأمـة الإسلامية لزمام المبادرة على طريق تعديل موازين القـوى المختلة حالياً ضدها لابد أن يمر بتـغيير معـظم هؤلاء الحكام، وإقامـة نظم جديدة جـديرة بالانتـساب للإسلام وللقرآن..

وهذا يتطلب أول ما يتطلب رفض ما يروجه هؤلاء الحكام حول حـتميـة وواقعيـة الاستسـلام.. باعتبـاره الخيار الوحـيد المطروح على الأمـة.. وما هو فى الحـقيـقة إلا الخيـار المطروح أمامهم لاستمرار التثبت بمواقع الحكم .

ان خـيار المقـاومة .. والجـهاد ..هو الخـيار الإسـلامى وهو الخيار الذى يحقق للأمة صلاح الدنيا والآخرة.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

(صدق الله العظيم)

القاهرة

٢٥ جماد أول ١٤١٢ـ ٢/ ١٢/ ١٩٩١

خارطة الطريق .. الخدعة الجديدة

يصم الإعلام العميل آذاننا كل دقيقة بالكلام عن خارطة الطريق.. حتى تصور البعض أنها تتضمن عودة القدس والمسجد الأقصى وإقامة دولة فلسطينية مستقلة، وهذا هراء وكذب .

ويجب أن نلاحظ ابتداء أن استبعاد ياسر عرفات وتثبيت أبو مازن (صديق الإسرائيليين) خلال هذه اللقاءات المشئومة المزمعة، هو أول خضوع للشروط الأمريكية .. فأبو مازن هو ثالث حاكم عميل تنصبه أمريكا على بلاد العرب والمسلمين.. بعد كرزاى فى أفغانستان ، وبريمر فى العراق .. والطريف أن مبارك تخلى عن عرفات بلا ثمن .. وأقر بتمثيل أبى مازن للسلطة الفلسطينية فى اللقاء المرتقب بالعقبة ..

بينما بوش لا يكف عن الثناء على أبى مازن الذى يحظى باحترام الصهاينة وعلى رأسهم شارون الذى اجتمع معه بالفعل للتحضير للتآمر فى العقبة فى صحبة بوش .

أما بالنسبة لخارطة الطريق .. فلا يوجد فيها أى شىء قاطع ومحدد، إلا سحق المقاومة الفلسطينية بعد نعتها بالإرهاب .. وهذا ما هو وارد فى المرحلة الأولى.. التى كان من المفترض أن تبدأ فى أكتوبر الماضى..

(١) وتنص هذه المرحلة على تعيين حكومة فلسطينية جديدة وإنشاء منصب رئيس وزراء بصلاحيات، وهذا ما حدث بالفعل فى حكومة أبو مازن .. فالأمر يتم الابتداء به على أساس أن المشكلة فى الفلسطينيين وليست فى الاحتلال.. التى تنص قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة على ضرورة إنهائه منذ ٣٦ عاما!!.

(٢) التزام القيادة الفلسطينية بأمن إسرائيل و (الوقف الفورى للانتفاضة المسلحة وكافة أشكال العنف ضد الإسرائيليين فى كل مكان، وتوقف كافة المؤسسات الفلسطينية عن التحريض ضد إسرائيل) وهذا هو الشىء الوحيد الجوهرى فى خارطة الطريق.. وقف الجهاد الفلسطينى لتحرير الأراضى المغتصبة والمحتلة، رغم أن القانون الدولى يؤكد مشروعية القتال ضد المحتل ! وكذا

استخـدام تعبير (كل مكان) أى حتى فى الضفـة الغربية وغـزة .. وحتـى ضد الأهداف العـسكرية لـلاحتـلال .. وهذا لا يحدث عادة إلا بعد انسـحاب القوات المحتلة أو إعلانها وتوقيعها لاتفـاقية واضحة تنص على الانسحاب خـلال جـدول زمنى قـاطع .. وهـذا ليس مـوجـودا فى الخارطة المشئومة .. بل أكثر من ذلك تحض الخريطة على نبذ مجـرد التحريض ضد المحتل.. والله ما سـمعنا بهذا فى آبائنا الأولين !! فالمطلوب أيضاً تكميم الأفواه وعدم نقـد وجـود الاحـتـلال ، دون تقـديم أى ضـمـانات لانسـحاب المحـتل ، فالضـمانـات كلها لإسـرائيل كمـا سنرى .

(٣) (يتم تنفيـذ الخطة الأمـريـكيـة لإعـادة البناء والتـدريب واستئـناف التعاون الأمنى مع مجلس خـارجى للإشراف مكون من أمريكا ومصر والأردن) .

الضـمانات كلـها لإسـرائيل .. فـحتى تطمـئن على التـزام السلطة الفلسطـينية بقـمع المقـاومة .. يتم الـتعـاون الأمنى مع

إسرائيل تحت إشراف أمريكى .. والمقصود تعاون اجهزة الأمن الفلسطينية .. فى وجود شهود زور مصريين وأردنيين .

(٤) (تدمج جميع أجهزة الأمن الفلسطينى ضمن ٣ أجهزة ، وتكون مسئولة أمام وزير الداخلية صاحب الصلاحيات) وقد بدأ تنفيذ ذلك بتعيين عميل الموساد (دحلان) ليكون صاحب الصلاحيات.. وهناك حديث عن عودة العميل الآخر (الرجوب) مسئول الأمن الوقائى الذى كان يسلم الفلسطينيين للسلطات الإسرائيلية !

(٥) (أجهزة الأمن الفلسطينية التى يعاد بناؤها ويعاد تدريبها وأجهزة الجيش الإسرائيلى تبدأ إعادة مرحلية للتعاون الأمنى وبما يشمل اجتماعات على مستوى عال وبمشاركة مسئولين أمنيين أمريكيين) وهى نفس تجربة كرزاى فى أفغانستان وبريمر فى العراق . هذا التعاون الأمنى الفلسطينى العميل - الإسرائيلى - الأمريكى لا هدف له إلا وأد المقاومة وضرب بنيتها التحتية .

(٦) (تتحرك الدول العربية بشكل حازم لقطع أى تمويل حكومى أو خاص للجماعات الفلسطينية المتطرفة) أى قيام حكام العرب بتجفيف المنابع المالية التى تدعم

الانتفاضة، بدلاً من الالتزام بتوجيهات الله سبحانه وتعالى بموالاة المؤمنين.. ودعم المجاهدين حيث يتم تسميتهم بالمتطرفين .. ويجرم دعمهم.

(٧) وتلتزم إسرائيل بالمقابل .. بالتوقف عن مهاجمة المدنيين وهدم البيوت ومصادرة الممتلكات .. أى لا يوجد حديث عن وقف قتال المقاومين المجاهدين أو فك أسرهم من سجون إسرائيل.. وكذلك الالتزام بتفكيك المستوطنات التى تم انشاؤها خلال حكومة شارون .. وهو شىء يسير .. لأن المستوطنات فى حالة توقف وذبول وانحسار بسبب ضربات المقاومين .

والمعلوم أن لإسرائيل ١٤ تحفظاً على خارطة الطريق، وافقت أمريكا على ١٢ منها .. وعلى رأس هذه التحفظات موضوع الاستيطان .. إذن فإن الكيان الصهيونى غير ملتزم بأى شىء عمليا !! وقد طمأن بوش شارون بقوله :

(إن خارطة الطريق ليست توراة !!) .. ومع ذلك فإن حكام العرب جعلوها قرآنهم .. لعنهم الله فى الدنيا والآخرة..

لقد ذكر بوش فى حديثه للتليفزيون المصرى .. إن (السلام منحة من الله) فبوش مسموح له أن يتحدث عن الله .. وأن يتحدث بلكنة دينية .. أما عندما يلتزم المجاهدون بكلام الله المنزل بالفعل.. فإنهم مجرمون ومتطرفون فى عرف بوش وحكام العرب ..

ألا لعنة الله على الكافرين والمنافقين والتابعين لأعداء الله..

صحيفة " الشعب " على الإنترنت

٢٠٠٣/٥/٣٠

التخلى عن الجهاد لتحرير القدس كفر بواح

نواصل عرض تحليلى لخارطة الطريق المشبوهة التى يقدمها الإعلام الرسمى على أنها حل لقضية فلسطين ..

تحدثنا عن المرحلة الأولى .. ورأينا أن تصفية المقاومة الفلسطينية المسلحة، بل ومنع التحريض ضد الاحتلال هو الشىء الجوهرى فيها مقابل لا شىء تقريبا .. ذلك أن وقف المقاومة بل تصفيتها لا يجوز أن تكون مطروحة دون انسحاب المحتل أو توقيعه عل اتفاقية الانسحاب خلال فترة زمنية محددة التاريخ، وإلا فإن تخليك عن ورقة الضغط الوحيدة (المقاومة) يعنى أنك تواصل التفاوض عارياً من كل شىء.. إلا " حسن نوايا " الأعداء المجرمين (أمريكا وإسرائيل)!!.

وتتحدث الخارطة عن محطة ثانية خلال المرحلة الأولى .. حيث تجرى إصلاحات سياسية فى السلطة الفلسطينية .

(وهى إصلاحات تشرف عليها أمريكا وإسرائيل) وتحت

آلية مراقبة من اللجنة الرباعيـة المكونة من (أمريكا ـ أوروبا ـ روسـيا ـ الأمم المتـحدة) أى هى لجنة كـلها من غـير العـرب والمسلمين !! .

وتضـيـف (كلمـا تقـدم الأداء الـفلسطينى الأمنـى بشكل شمولى) أى كلمـا تمت تصفية البنية التحـتية للمقاومـة كبشر وكوسـائل محدودة للمقـاومة (تنسحب قـوات إسرائيل إلى مواقعها قبل الاجتياح الذى حدث فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠) .. وهذه لعبـة جديدة تعنى انسحـاب القوات من داخل المدن إلى حولهـا مع استـمرار التحكم فى كل الطـرق والمواصلات بين المدن والقـرى الفلسطـينيـة، أى هو أشـبـه بخـروج اللص من داخل البيت ومرابطتـه على بابه يتحكم فى الداخـل والخارج منه .. ويسـيطر عليـه سيـطرة كـاملة من الخـارج .. وهذا هو الوضع الأنسب للاحـتـلال.. حيث يـتـعد عن التـجـمعـات السكنية الكثيفة التى تعرضه للمزيد من الاستنزاف .

أى أن الأمـــر لا يعـدو ان يكـون إعـادة انتـشـار لقـــوات الاحتـلال .. بينمـا يصور العـملاء أنه انسـحاب بمعنى تحـرير جـزء من الإرادة أو السـيـادة أو الأرض الفلسـطينيـة .. وهذا

هراء .. فهو مثلاً لا يماثل انسحاب إسرائيل من جزء من سيناء كما حدث فى عام ١٩٧٥ .. حيث انضم هذا الجزء إلى السيادة المصرية وتم تحريره نهائيا.. من قبضة الأعداء . أما فى هذه الحالة فإن الجيش المحتل يقف على الأبواب . وإذا لم يقم الأمن الفلسطينى بواجبه نصرة للاحتلال .. فإنه سيعود ليدخل مجدداً للقيام بمهامه ..

وفى هذا الصدد تعود الخارطة لتؤكد نفس المعنى(يتفق الجانبان الفلسطينى والإسرائيلى على اتفاقية أمنية تشمل آلية فاعلة لوقف العنف والإرهاب والتحريض يتم تنفيذها من خلال أجهزة أمنية فلسطينية فاعلة أعيد بناؤها) .

ثم يأتى الحديث فى هذه المحطة الثانية (ضمن المرحلة الأولى) عن تجميد النشاط الاستيطانى، أى مجرد وقف التوسع فيه .. وهو الأمر الذى تتحفظ عليه إسرائيل.. وبالتالى يصبح التنازل الفلسطينى الجوهرى بلا ثمن .

والحقيقة أن التلاعب بحكاية تجميد الاستيطان لا معنى له.. فالأصل أن تقرر إسرائيل انها ستنسحب إلى حدود ٤ يونيو

١٩٦٧ .. ولكن بما أن الكيان الصهيونى مجمع على رفض ذلك فإن الخارطة تساعده على ذلك .. بتمييع القضية .. بالحديث عن تجميد الاستيطان ، وكأن ابتلاع أكثر من نصف الضفة الغربية بالنشاط الاستيطانى الذى حدث بالفعل ليس كافياً، ثم يجرى الحديث بعد ذلك عن الحدود والمساومة حول إدخال معظم هذا الوجود الاستيطانى فى الكيان الصهيونى، فى مقابل كيان فلسطينى معزول وتابع ومنكمش لا يهم بعد ذلك أن يسمى دولة أو بلدية .

فإذا كانت الخارطة تعنى انسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ وإقامة دولة فلسطينية عام ٢٠٠٥ ، فما أهمية الحديث عن تجميد الاستيطان حتى إذا وافقت عليه إسرائيل .. إلا إذا كان الأمر يعنى أنه لا انسحاب من الضفة الغربية وغزة

وهنا تبدو إسرائيل وقد قدمت " تنازلات "!! فلابد إذن من مكافئتها .. بإعادة مصر والأردن سفيريهما إلى تل أبيب كخطوة بارزة على تنشيط التطبيع .

المرحلة الثانية:

بعد الاطمئنان إلى قصم ظهر المقاومة الفلسطينية .. يتم

التوجه إلى مؤتمر دولى بلا ضمانات لبحث إمكانية إنشاء دولة فلسطينية ذات "حدود مؤقتة " وهذا تعبير مخادع يعكس روح النصب فلا يوجد فى القانون الدولى ما يسمى بدولة ذات حدود مؤقتة، ولكنها اختراعات للتلاعب بالأمة فى ظل حكام مهزومين .. وحتى يبدو أن هناك تقدماً.. وأن ثمة " دولة " فى نهاية المطاف . هذا المؤتمر ينعقد تحت الإشراف الرباعى : أمريكى - أوروبى - روسى - الأمم المتحدة .. وهى كلها أطراف لا تتبنى الموقف العربى .. وليس لديها أى التزام بالإسلام وقضاياه المقدسة .. فنحن نسلم قضيتنا للأعداء .. وهم الذين يقررون مصير فلسطين.. وإذا كانت أمريكا هى المحاربة .. ورغم تقديرنا للخلاف الأوروبى والروسى معها إلا أنه لا يكفى للتعبير عن قضيتنا فى مؤتمر دولى يمثل الجانب العربى فيه "أبو مازن"!! صديق إسرائيل وأمريكا، أو كوفى عنان فهو مجرد طرطور أمريكى .

وعقد هذا المؤتمر الموهوم يقدم على أنه تنازل جديد وتفضل من الكيان الصهيونى .. لذلك لابد من تقديم تنازل مقابل .. وهو (إعادة الروابط العربية الأخرى مع إسرائيل التى كانت قائمة قبل الانتفاضة كالمكاتب التجارية) أى أن قبول إسرائيل

بالجلوس للتفاوض وهو الأمر الذى تفعله منذ عشرات السنين .. أصبح هو التنازل الكبير الذى يستحق تنشيط التطبيع التجارى معها علناً.. وهو فى الحقيقة لم ينقطع مع بلاد مثل مصر وقطر والأردن

بل لابد من تقديم المزيد من الجوائز لإسرائيل لمجرد أنها خرجت من وسط المدن إلى أطرافها مع إسناد مهمة ضرب المقاومة الفلسطينية للأمن الفلسطينى .. فلابد من إحياء المفاوضات متعددة الأطراف التى تبحث مشاركة الكيان الصهيونى فى الماء العربى، وإقامة السوق الشرق أوسطية ، وبحث أمور البيئة والحد من التسلح ووضع قضية اللاجئين فى هذا الخضم دون أى سقف زمنى .. ودون أى مبادئ حاكمة تنص على حق العودة .. فاللاجئون مجرد نقطة فى اجتماعات مفتوحة بلا سقف زمنى وبلا ضوابط أو التزامات .

وفى هذه المرحلة أيضاً يتم إقرار الدستور الفلسطينى تحت إشراف الاحتلال .. والمفروض أن الدستور عمل سيادى تقوم به دولة مستقلة، لا يقوم به أناس واقعون تحت إكراه الاحتلال.

ورغم كل ما يفترض أن يحدث فى المرحلة الأولى فى

مجال قمع المقاومة فان المرحلة الثانية لا تزال تؤكد على جوهر الموضوع والذى لا موضوع سواه حقيقة فى الخارطة (استمرار تنفيذ التعاون الأمنى واستكمال جمع الأسلحة غير المشروعة ونزع أسلحة الجماعات العسكرية) .. كل هذه التأكيدات مع استمرار حالة الاحتلال .. وبدون ربط ذلك بنجاح مؤتمر دولى يبحث فى مجرد (حدود مؤقتة) لدويلة، فالمسائل كلها تطرح بالتوازى، وهى كلها أمور هلامية، عدا (تصفية المقاومة) .. بل الخارطة تستخدم ألفاظاً بالغة الخطورة .. حين تقول أن مهمة المؤتمر الدولى هى (إطلاق المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين حول إمكانية إنشاء دولة فلسطينية بحدود مؤقتة) ..

أى عندما يكون مطلوب تجريد الضحية من سلاحها، نجد أمريكا ومخابراتها متواجدة مباشرة ، وعندما يفترض أن يحصل الفلسطينيون على مقابل ما (حدود مؤقتة لدويلة غير موجودة !!) فان الحمل (الفلسطينى) يُترك للذئب (الكيان الصهيونى) فى مفاوضات ثنائية.. فإذا لم يتفقا سيقول الأمريكان : ماذا نفعل ؟

ونحن نقول: ماذا ننتظر من مفاوضات بين الحمل غير

المسلح مع الذئب المسلح ؟ .. وتعود الخارطة لتؤكد ذات المعنى (مفاوضات فلسطينية إسرائيلية بهدف إنشاء دولة ذات حدود مؤقتة) .

المرحلة الثالثة:

بعد أن يتم سلخ الحمل الفلسطينى يتم الاتجاه إلى مؤتمر دولى ثانى!! فأنت فى سباق أمام حواجز وموانع لا تنتهى ، وكلما تجاوزت حفرة وجدت هوة . فربما يكون الطرف الفلسطينى ما يزال ينبض بالحياة فلابد من كتم أنفاسه تماماً .. وهذا المؤتمر يعقد تحت الإشراف الرباعى، والطريف أن قرار اللجنة الرباعية لابد ان يكون إجماعياً (على طريقة الجامعة العربية) ولذلك فإن لأمريكا حق الفيتو على أى شىء !! ألا يكفينا فيتو مجلس الأمن ؟! وهذا المؤتمر الدولى الثانى سيبحث إقرار الاتفاق على الحدود المؤقتة .. وهذا يذكرنا بالنكتة الخضراء .. (رجل أخضر يركب سيارة خضراء .. ويسكن فى بيت اخضر .. ويلبس اخضر .. وهكذا حتى تمل من السماع !!) .

فهذا نوع من مط الأمور إلى ما لا نهاية .. فإذا كان الفلسطينيون والصهاينة اتفقا على الحدود المؤقتة لماذا يعاد

بحث الأمر فى مؤتمر دولى ثانى .. وهذا المؤتمر الثانى سيقوم بعد ذلك بـ (إطلاق المفاوضات بين إسرائيل وفلسطين نحو حل نهائى ووضع دائم عام ٢٠٠٥ وبما يشمل الحدود والقدس واللاجئين والمستوطنات) .. أى بعد عامين من ذبح المقاومة .. يقوم المجتمع الدولى (اللجنة الرباعية) بتسليم الحمل الفلسطينى مرة أخرى للجزار فى مفاوضات ثنائية .. وهذه مسخرة بكل المقاييس .. فالأمة العربية والإسلامية ستتلخص فى أبى مازن صديق إسرائيل.. وهذا الهمام هو الذى سيناقش مسائل القدس واللاجئين والمستوطنات .. هل سمعتم عن استغفال للعقول أكثر من ذلك ؟!

ان الحاكم العربى الذى يوافق على خارطة الطريق هو حاكم خائن يرتكب الكفر البواح وهذا ما كتبه الأستاذ / عادل حسين فى جريدة "الشعب" عدد ٢٩ أكتوبر ١٩٩١ بمناسبة مؤتمر مدريد، الذى يتكرر الآن بصورة أكثر هزلية وهزالاً .. فماذا قال ؟

(زمان .. أى منذ ١٠ أو ١٢ سنة (لا أكثر) كان العرب يداً واحدة على العدو الصهيونى، ولم يكن بوسع أى حاكم أو زعيم أن يقول إن فلسطين قضية فلسطينية خالصة، ولا

شأن لغير الفلسطينيين بها . لم يكن بوسع أى ملك أو رئيس أن يقول شيئاً من ذلك، ففلسطين بالذات، والقدس بشكل أخص، لا يمكن إلا أن تكون شأناً إسلامياً وعربياً، ولو قلنا بغير ذلك لأصبح الدفاع عن مكة والمدينة فى رقبة أهل الحجاز وحدهم . والقول بهذا كفر! نعم القول بهذا كفر بواح . ولهذا لم يكن هناك حاكم عربى يجرؤ أن يقول أنه فى موقف المتفرج أو المراقب بالنسبة لفلسطين، وإذا جاز لأى حاكم عربى أن يقول ذلك ـ إذا جاز ـ فإن حاكم مصر بالذات لا يمكن أن يقولها .

فيا ضيعة الإسلام والعرب إذا كانت مصر لا تشارك فى تحرير القدس! ويا ضيعة مصر نفسها إذا قبلت الهوان والذل إلى هذا الحد .. سيركبنا اليهود والله كما تركب الحمير، ان نحن تصاغرنا وتنازلنا إلى أن نتخلى عن واجب الجهاد لتحرير القدس بدعوى أننا نترك هذه المهمة لفلسطين!).

وفى ٥ نوفمبر ١٩٩١ استنكر الأستاذ عادل حسين ما ورد على لسان مبارك ونصه (ما تقعدش مع إسرائيل؟ أمال تقعد مع مين ؟ تحل مشكلتك مع مين ؟ يا حبيبى فلوسك عند إسرائيل .. عند اليهود .. والعالم الغنى كل فلوسه فى ايدين

اليهود .. دا فيه ناس كتير بس مش عايز أذكرهم مستشاريهم يهود .. لأنهم ناصحين وإلا ماكنش الأربعة مليون الموجودين فى إسرائيل مغلبين ١٧٠ مليون اللى هنا ! مغلبينهم).

وقال مبارك فى نفس الخطاب : (نعمل زى الناس راحوا فى دولة من الدول .. هانجيب جيش ونروح نحرر القدس .. خمسة مليون واحد .. ما تروح ياسيدى حد ماسك إيدك!) .

*****

ونعود إلى المرحلة الثالثة من خارطة الخيانة ..

وبالتوازى مع المؤتمر الدولى الثانى من أجل حل نهائى يفترض فيه دولة فلسطينية ذات حدود دائمة .. وقبل ضمان ذلك ودون اشتراط ذلك .. (تقبل الدول العربية بعلاقات طبيعية مع إسرائيل) ويتواصل الحديث عن الأمن (ضرب المقاومة) بالقول (استمرار التعاون الأمنى بشكل مستمر وفعال على أساس الاتفاقات الأمنية التى تم التوصل إليها).

أى حتى فى المرحلة التى يزعمون أنها مرحلة دولة .. لا حديث محدد إلا عن التعاون الأمنى بين عملاء فلسطين والجيش الإسرائيلى .

تبقى نقطتان يجب توضيحهما :

١. **الجدول الزمنى:** الجدول الزمنى غير مقدس ذلك أن خارطة الطريق كان من المفترض أن تبدأ فى أكتوبر ٢٠٠٢ ونحن الآن فى يونيو ٢٠٠٣ وهى لم تبدأ بعد .. كما أن بوش طمأن شارون بأن (الخارطة ليست من التوراة) .. وهذا ينطبق على المضمون والجدول الزمنى، فإذا حدث خلاف خلال المؤتمر الأول .. ستتوقف العملية .. كما حدث مع مقررات أوسلو والقاهرة وواى بلانتيشن .. إلخ أين الجداول الزمنية فى كل هذه الاتفاقات التى وقع عليها رئيس أمريكا ورئيس وزراء الكيان الصهيونى ؟!

٢. **الدولة:** فى شعار الدولة الفلسطينية يكمن الخداع الأكبر .. فلا يوجد فى الخارطة أى توصيف لهذه الدولة .. وسيادتها .. وحدودها .. وحقها فى الجيش .. وحدود مفتوحة .. وسياسة خارجية .. وقد سبق وأن أطلقوا مصطلح "السلطة الفلسطينية" على سلطات هى أقل من سلطة البلدية .. وسلطة البلدية تشمل التصرف فى الماء والكهرباء وحتى التنقل داخل البلدية .. وهذا ما لم تحظ به السلطة الفلسطينية فى أى وقت من الأوقات .. لذا فإنهم

يطلقـون مـصطلح " الدولة " على نوع مـن الحكم الذاتى التابع للكيان الصهيونى بلا أى نوع من أنواع سيادة الدول المتعارف عليها والمعروفة فى القانون الدولى .

وهى ستكون أشبـه بدولة الفاتيكان من الناحية السيـاسية.. فالفاتيكان مجرد قطعة وجزء لا يتجزأ من روما .. ولقد زرتها بنفـسى ولم يعتـرضـنى أحـد عند الدخـول أو الخـروج .. فـالفـاتيكان أشبـه بميـدان كبـيـر فى رومـا .. ومع ذلك فـإن للفاتيكان سفارات فى دول العالم .

وسـتكون دولة فلسطين ـ كـمـا فى مـخيلة أمـثـال ـ بوش وشـارون ـ شـيـئـاً قـريـبـاً من ذلك .. بل وأشـد سـوءاً .. لأن للفـاتيكان قداسـة روحيـة (لدى الـكاثـوليـك) .. ولأن دولة فلسطين سيـديرها عملاء الموسـاد بهوية فلسطينيـة، وستكون شاهد قبر على موت الأمة العربيـة والإسلامية وضياع القدس والمسجد الأقصى .

*****

هذه هى الخارطـة .. وهذه هى خطة الأعداء وعـملائهم .. هذه هى خارطة الخيانة .. ولكننى أقـول بكل الثقة والأمانة ان

ذلك لن يحدث.. الأمة فى حالة تقدم وفى المقدمة شعوب فلسطين والعراق وأفغانستان.. الشعب الفلسطينى الاستشهادى البطل لن يقبل بهذه الحقارات .. وسيقاوم مهما واجه من محن .. وسيواصل الشعبان الأفغانى والعراقى توجيه الضربات المميتة والموجعة للأمريكان .. وستحطم باقى الشعوب أغلال الحكومات الخائنة.. وسيضرب الاستشهاديون فى كل مكان .. (زوروا موقع السفارة الأمريكية فى القاهرة لتشاهدوا بأنفسكم كيف تحولت إلى ثكنة عسكرية وكيف يعيش الدبلوماسيون الأمريكان كجرذان الصحراء) وستنقض الشعوب على اتفاقات الذل والعار .. وأعوان أمريكا وإسرائيل .

ورغم كل الإنكسارات فإن الخط البيانى إلى صعود .. أعنى خط الأمة .. بعودتها إلى الجهاد . إذا تصورتم أن بإمكان القاعدة أن تفتح مكتباً علنياً لتطوع الاستشهاديين (كما حدث خلال حرب السوفيت فى أفغانستان) فستجدون طوابير من مئات الآلاف تذهب لتسجيل أسمائها .. وعندما أفتتحت فى مصر مكاتب وهمية للتطوع للجهاد فى العراق .. زحفت ألوف مؤلفة من المصريين .

وإذا فتحت حماس أو الجهاد مكاتب للتطوع.. سيزحف إليها الملايين .. هذا هو حال الأمة .. لقد انتقلت الأمة من حالة الإقبال على أداء الشعائر الدينية فحسب.. إلى الرغبة الجامحة فى الجهاد..

ومقاومة سلاطين العجز والتوسل .. هى من أفضل الجهاد بكلمة حق .. والناس تتحرق شوقاً لمن يقودها .. إلى الخلاص من هذه السلاطين .

ونحن ـ فى مصر ـ لن ندخر جهداً بإذن الله .. وسنواصل تكتيل قوى الأمة لإقالة مبارك .. وسنضرب المثل لأخوتنا العرب فى الأقطار الأخرى .. وستتقدم الصفوف .. حتى نقيم الدولة الأبية التى تستظل بظلال القرآن .. أو نهلك دون ذلك..

وموعدنا مع بوش وعملائه الصبح ..

(إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

صحيفة " الشعب " على الإنترنت

٢٠٠٣/٦/١٣

المراجـــع

تم الرجوع في كـل ما يتعلق بمباحثـات كامب ديفـيد إلى المذكرات المـنشورة لمختـلف الأطراف المشاركـة فيهـا .. وهي كلهـا يؤكد بعضـها بعـضا، فـلا يوجد أي خلاف يذكـر على الوقائع، ولم يتبق إذن سوى القراءة والتفسير، ونخص بالذكر من هذه المذكرات :

١ـ السلام الضـائع في كامب ديفـيد ـ مـحمد إبراهـيم كامل وزير الخارجية الأسبق.

٢ـ حدث في كـامب ديفيد .. لثـلاثة صحفـيين إسـرائيليين: ايتان هابر- زئيف شيف ـ ايهود يعاري.

وقد ضم الكتـاب الذي ترجمه إبراهيم منصور .. مـقارنة بين هذه الرواية الصـحفيـة ومذكرات إسـماعيل فـهمي ـ إبراهيم كـامل ـ كـوانت ـ بريز نسكي ـ دايان ـ وايزمـان ـ فانس ـ كتاب الأهالي رقم (١٠).

٣ـ محاربون ومفاوضون ـ كمال حسن على ـ مركز الأهرام للترجمة والنشر .

٤ـ أسرار المعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية ـ محمود فوزى ـ نجدى للنشر والتوزيع .

ومراجع عامة أخرى:

٥ـ الأم ـ الإمام الشافعى ـ كتاب الشعب .

٦ـ بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ـ د.محمد سيد طنطاوى ـ دار الزهراء .

٧ـ زوال إسرائيل حتمية قرآنية ـ أسعد التميمى ـ أنصار الثورة الإسلامية .

٨ـ الشرق الأوسط بعد ١٠ سنوات من كامب ديفيد ـ وليام كوانت ومجموعة من الباحثين - مركز الأهرام للترجمة والنشر .

٩ـ بالسيف (أمريكا وإسرائيل فى الشرق الأوسط) (١٩٦٨ـ ١٩٨٦) ستيفن جرين ـ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ لبنان.

١٠ـ سقوط الجولان ـ خليل مصطفى ـ دار اليقين ـ عمان

١١ـ ملف المؤتمر الدولي للسلام ـ دار المعارف.

١٢ـ ملف وثائقى عن التحرك السياسى الدولى لحل مشكلة الشرق الأوسط ـ الهيئة العامة للاستعلامات.

١٣ـ مصر فى المشروع الإسرائيلى للسلام ـ محمد حسن ـ دار الكلمة ـ بيروت .

١٤ـ الملف ـ مجلة تعنى بالشئون الإسرائيلية ـ قبرص.

١٥ـ اللوبى (اليهود وسياسة أمريكا الخارجية) ادوارد تيفنن ـ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر / بيروت .

الفهرس

كتب للمؤلف

١ ـ الجهاد صناعة الأمة. (الطبعة الثانية)

٢ـ أحكام القرآن الكريم فى موالاة الكفار والمشركين. (نفذ)

٣ـ فقه التغيير السياسى فى الإسلام. (الطبعة الثالثة)

٤ـ أزمة الخليج وحرب الأفغان.. بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان. (الطبعة الثانية)

٥ـ من كامب ديفيد إلى مدريد.

٦ـ هموم الأمة مع نهاية القرن.

٧ـ مصر والسودان (التمرد ـ الحصار ـ الإنقاذ). (الطبعة الثانية)

٨ـ الإسلام والعروبة. (نفذ)

٩ـ أمريكا .. طاغوت العصر.

١٠ـ الخيانة .. الملف الأسود للزراعة فى مصر.

عزيزى القارىء:

إذا أردت الحصول على أى من اصدارات المؤلف، اتصل بـ:

أو راسلنا على البريد الالكترونى :

Tarekalkarket@Hotmail.com